ظهورات كيبيهو

و

ظهورات غوادالوپّي

طبعة أولى

٢٠١٢

*

منشورات المكتبة البولسية

جونيه – شارع القدّيس بولس – ص.ب: ١٢٥
هاتف: ٩١١٥٦١ – ٠٩/٩٣٣٠٥٢ – فاكس: ٠٩/٦٤٣٨٨٦
بيروت – شارع لبنان – هاتف: ٠١/٤٤٨٨٠٦ – تلفاكس: ٠١/٤٤٤٩٧٣
زحلة – شارع سيّدة النجاة – مُقابل مُطرانيّة الروم الملكيّين الكاثوليك – تلفاكس: ٠٨/٨١٢٨٠٧

سلسلة ظهورات
٦

ظهورات كيبيهو
و
ظهورات غوادالوپّي

أديب مصلح

٢٠١٢

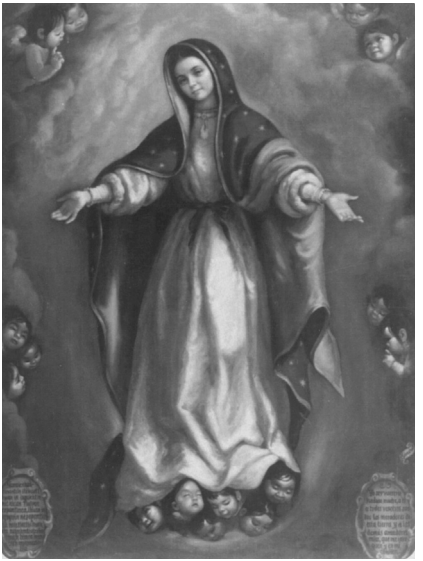

ظهورات کیبیهو

(رواندا)

كيبيهو

تقع جمهوريّة رواندا الصغيرة والفتيّة وسط أفريقيا، بين المحيط الهنديّ والمحيط الأطلسيّ، وتمتدّ على مساحة ٢٦٣٣٠ كيلومترًا مربّعًا. وقد وُصفَت بأنّها «سويسرا أفريقيا»، بسبب جبالها المكسوّة بالغابات، والتي يبلغ ارتفاع بعضها ٤٥٠٠ متر، وبسبب نسيمها العليل، وأمطارها الوفيرة، وعذوبة مناخها.

عدد سكّانها الذي لم يكن يتجاوز، وقت الظهورات، في ثمانينات القرن العشرين، خمسة ملايين ونصف المليون نسمة، يناهز اليوم عشرة ملايين، فنسبة التزايد السكّاني السنويّة تقارب ثلاثةً بالمئة.

سبعة وتسعون بالمئة من السكّان يقطنون الأرياف، حيث

يعملون بالزراعة، مستثمرين أراضيهم الصغيرة استثمارًا مكثَّفًا. فهذه الأراضي مجزّأةٌ تجزئةً مفرطةً، بحيث لا تتجاوز مساحة كلّ مشروعٍ زراعيٍّ، وسطيًّا، الهكتار الواحد.

الشعب الرواندي فرحٌ ومضيافٌ، وكَلِفٌ بالعلاقات الاجتماعيّة، وبالشّعر والغناء والرقص. حتّى القرن التاسع عشر كان وثنيًّا، ومع ذلك كان يؤمن بإلهٍ واحدٍ، وقد سهّل ذلك اعتناقه المسيحيّة التي غدت دين الأغلبيّة.

ظلّت رواندا، مدى قرونٍ، خاضعةً لحكمٍ إقطاعيٍّ، ثمّ استعمرتها ألمانيا منذ عام ١٨٩٠ حتّى عام ١٩١٦. بعدئذٍ، وضعتها الأمم المتّحدة تحت رعاية بلجيكا، إلى أن نالت استقلالها، في شهر تمّوز من عام ١٩٦٤.

لغة رواندا الرسميّة هي الفرنسيّة، ولكن اللّغة المحكيّة الرائجة هي «الكينيارواندا».

أمّا كيبيهو فهي دسكرةٌ تقع جنوبيّ رواندا، وهي من أفقر مناطق البلاد. وقد أكسبتها ظهورات يسوع والعذراء، في

العقود الحديثة، شهرةً عالميّة. هذه الظهورات امتدّت من ١٩٨١/١١/٢٨ حتّى ١٩٨٩/١١/٢٨، وهي الظهورات الأولى في القارّة الأفريقيّة.

قُبَيْل هذه الظهورات، بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨١، تعرَّضت تماثيل السيّدة العذراء المنصوبة عند مداخل الكنائس في كيبيهو للتشويه والتحطيم والسرقة. وما كان يُصلَح منها، ويُعاد إلى مكانه السابق، كان لا يلبث أن يلقى مثل مصيره السابق. وأُسقِط في يد الرعاة الدينيّين الذين تعذّر عليهم الاهتداء إلى المعتدين.

وربّما وجدت العذراء، في جوّ الإحباط هذا، الفرصة المؤاتية لزيارة رواندا، ولاستعادة مكانتها في القلوب، ولا سيّما أنّ كثيرين كانوا قد نسوها وأقلعوا عن الصلاة لها، والتماس شفاعتها. وفي حين حاول أعداء الله تهميش أمّه، ونفيها، عادت أكثر مجدًا، محاطةً بمزيدٍ من المحبّة والتكريم والصلوات، وعاد تمثالها يطوف المنازل، منزلاً منزلاً، ويستقطب الحشود إلى سهرات الصلوات الخاشعة، فأُقيمت،

في بيوتٍ عديدةٍ، زوايا خاصَّةً لتكريمها، ووُزّعت آلافٌ من صورها وإيقوناتها، وعادت الأمّ السماويّة ملكةً ممجّدةً، وشفيعةً منيعةً، معزّيةً، وطريقًا أكيدًا إلى ابنها.

أُسّست رعيّة كيبيهو، عام ١٩٣٤، وهي، فضلاً عن الخدمات الروحيّة، تضطلع بخدماتٍ اجتماعيّةٍ هامّةٍ. فهي تدير مركزًا صحّيًّا، ومدارس ابتدائيّةً، ومركزًا للتعليم الزراعيّ والمهنيّ، ومعهدًا للفتيات. وقد أُشيدَ على أراضي الرعيّة مستودعٌ للحبوب، ومصرفٌ شعبيٌّ، ومطحنةٌ أهليّة. هذه المجموعة من الخدمات جعلت إشعاع الرعيّة يعمّ جميعَ الأهالي، وحقّقت رغبة رئيس البلاد بأن يكون كلّ مركزٍ روحيٍّ، مركز تنميةٍ.

وقد جادت رعيّة كيبيهو بعددٍ وفيرٍ من الكهنة والراهبات.

معهد البنات الذي تديره راهباتٌ رواندّيّاتٌ، حيث تمّ الظهور الأوّل في ١٩٨١/١١/٢٨، كان يضمّ، حينذاك، ١٢٠ طالبةً داخليّاتٍ، موزّعاتٍ على ثلاثة صفوف، يدرسنَ السكرتاريا، أو يتأهّلنَ للتعليم الابتدائيّ. وكان الجسم

التعليميّ مزيجًا من راهباتٍ وعلمانيّين. ثلاث راهباتٍ كنَّ يعملنَ في المدرسة، يعينهنّ فريقُ علمانيّين مؤلّفٌ من امرأةٍ وخمسة رجال. وجميعهم رواندیّون. اثنان من المعلّمين بروتستنتيّان، والآخرون كاثوليكيّون. ومن الطالبات كانت سبع عشرة بروتستنتيّة، ومسلمتان، والأخريات كاثوليكيّات.

غير أنّ ذلك المعهد لم يكن يتميّز بالورع. فقد كان يفتقر إلى مصلًّى عامٍّ، بحيث كانت الطالبات الراغبات في حضور قدّاس يوم الأحد يضطررن إلى الشخوص إلى كنيسة الرعيّة، أو يكتفين بالصلاة في مصلّى راهبات المعهد. وقد أُنشئت زوايا صلاةٍ في قاعة الطعام، وبعد أن ظهرت العذراء في مهجع النوم، أُقيم مصلًّى، في ذلك المهجع أيضًا.

ولم يكن سلوك جميع الفتيات، في ذلك المعهد، مثاليًّا. وأشارت العذراء إلى تلك الشائبة، داعيةً الطالبات إلى مزيدٍ من العفّة والطهارة والالتزام.

ولا بدّ من التنويه بأنّ ذلك المعهد كان يعاني الفقر، فيتعيّن على الطالبات تزويده بالماء الذي يجلبْنَه من الوادي، مرّتين

كلّ يوم. أمّا الكهرباء، فكانت تؤمّنها مجموعة توليدٍ كهربائيٍّ، لا تعمل أكثر من ثلاث ساعات يوميًّا.

وقد اختارت العذراء الظهور في ذلك المعهد، الأفقر في رواندا.

الظهور الأوّل، في المعهد

«ألفونسين موموريكي»

(Alphonsine MUMUREKE)

وُلدَت في مدينة زازا، شرقيّ رواندا، عام ١٩٦٥، وكانت تعيش مع والدتها الكاثوليكيّة المنفصلة عن زوجها، والتي أنشأتها على الإيمان والتقوى. وقد أبدت ألفونسين، منذ نعومة أظفارها، حبًّا شديدًا للعذراء مريم، ومثابرةً على حضور القدّاس.

في السادسة عشرة من عمرها انضوت إلى معهد كيبيهو، حيث انتظمت في سنة الدراسة الثانويّة الأولى، وسرعان ما انتسبت إلى الفرقة المريميّة. وحدث الظهور الأوّل لها يوم

السبت، في ١٩٨١/١١/٢٨، وتميّزت عن سائر الرؤاة بأطول فترة ظهورات. وقد روت الظهور الأوّل، كما يلي:

«كانت الساعة ١٢:٣٥، وكنت أخدم رفيقاتي في قاعة الطعام، وأنا في منتهى السعادة. ولكنّ شيئًا من الخوف كان يشوب فرحي. وبغتةً سمعت صوتًا يدعوني:

– يا ابنتي

– ها أنذا.

حينئذٍ اتّجهتُ صوب الممرّ، حيث ركعتُ ورسمتُ إشارة الصليب، وسألت:

– من أنت يا امرأة؟

– أنا أمّ الكلمة. وأنت ما الذي تفضّلينه في الدين؟

– أحبّ الله وأمّه، التي أعطتنا الابن الذي افتدانا.

– حقًّا!

– أجل. هذا رائع.

– أنا أتيتُ لكي أطمئنك أنّني استجبتُ لصلواتِكِ. ولكنّي أرغب في أن تؤمنَ رفيقاتُك لأنّهنّ لا يؤمنَّ بالقدر الكافي.

– يا أمّ المخلّص، إن كنتِ، حقًّا، أنت الآتية لتقول إنّنا هنا، في هذه المدرسة، قليلو الإيمان، فذلك دليل حبّك لنا، وإنّي ليغمرني الفرح، لأنّك ظهرتِ لي!».

وتواصل ألفونسين روايتها، فتقول:

«ليست العذراء بيضاء، بياضًا حقًّا، مثلما تُظهرها الصور، عادةً. ولكنّني لا أستطيع تحديد لون بشرتها. جمالها منقطع النظير. كانت حافية القدمين، ترتدي ثوبًا أبيض غير مخيّط، وتتلفّح بغطاء رأسٍ أبيض اللون، أيضًا. يداها كانتا مضمومتين عند مستوى صدرها، وأناملها مصوّبة نحو السماء. وقد قيل لي، لاحقًا، إنّني كنت في قاعة المائدة، وإنّني كنت أتكلّم بلغاتٍ عديدةٍ: الفرنسيّة، والإنكليزيّة، والكينيارواندا، ولغاتٍ أخرى تجهلها رفيقاتي.

«وعندما أخطرتني العذراء المباركة بأنّها عازمةٌ على المغادرة، تلوت ثلاث مرّاتٍ: «السلام عليك يا مريم...» ثمّ صلاة: «هلمّ أيّها الروح القدس». وعندما هي مضت، لم أرَها تختفي في الأفق، بل كنت أراها تصعد إلى السماء، كما صعد يسوع.».

في نهاية الظهور، ظلّت الرائية شبه مشلولة، مدى ربع ساعة، وفشلت كلّ الجهود الرامية إلى إخراجها من انخطافها. فدفعتها إحدى الراهبات بعنفٍ، كي تعيدها إلى أرض الواقع، ثمّ جرّتها إلى مكتبها.

مساء يوم ١٩٨١/١١/٢٨ ذاك، وفي الأيّام التالية، لم يتكلّم المعلّمون والطالبات عن ظهورٍ سماويٍّ، بل عن علّةٍ أصابت ألفونسين، وعن مسٍّ شيطانيّ ألمّ بها، ولا سيّما أنّ القرية التي أتت منها، عُهد عنها إيمانها بالأرواح وبقدراتها الوبيلة، وأنّ الظاهرات السماويّة كانت مجهولةً في الأوساط الروانديّة. الراهبات أنفسهنّ لم يصدّقنَ رواية ألفونسين، ولا رؤيتها لملكة السماء، ولحوارها معها. ومع ذلك تكرّرت

الظهورات لها، كلّ يوم سبتٍ، تقريبًا، خلال شهر كانون الأوّل. وأمعن المعلّمون والطالبات في اختبار صدق انخطافات ألفونسين. فقد حاولت إحدى رفيقاتها إحراقها بعود كبريت، وهي في حالة انخطافٍ، ولكنّ ألفونسين لم تحرّك ساكنًا. وسألتها حينئذٍ، العذراء:

– هل تعلمين أنّ، ثمّة، مَن يحاول إحراقَك؟

– أين ذلك؟

في الحال، سحبت ذراعها، ولكن لا الذراع التي كانت تتعرّض للحرق، بل الذراع الأُخرى. ووخزها آخرون بالدبابيس، فلم يبدر عنها أيّ ردّ فعل.

* * *

ردود الفعل السلبيّة كانت متوقّعةً في مدرسة بناتٍ داخليّاتٍ يغذّيها الفضول والحسد. فالرفيقات لا يرضينَ، بيُسرٍ، أن تتميّز إحداهنّ لا تفوق الأخريات جمالاً ولا ذكاءً، ولا تقوًى، ولا قِدمًا، فهي مجرّد مبتدئةٍ باهتةٍ، فعلامَ

تختارها العذراء، هي بالذات، كي تظهر لها؟ وقد نزعت أترابُها إلى نبذها وجعلها مادّةً للتهكّم والتندّر، فكلّما خطرت، تعالت غمغماتٌ تتمتم: «هذه هي الرائية!»، «اركعنَ، يحدث لكُنّ ظهور!»، «اطلبي لنا من العذراء كذا، وكذا...»، وكانت بعضهنّ يمثّلن، بسخريةٍ، مشاهد الظهور. وظلّ موقفهنّ منها، على هذه الحال، إلى أن حظيت أخرياتٌ بظهوراتٍ، نظيرها.

وكانت السيّدة العذراء قد أوعزت إلى ألفونسين بإطلاع أترابها على سيرتها، فامتثلت، وأطلعتهنّ على انفصال والديها، وعلى فقر ذويها المدقع. وفيما كانت هي تتحدّث، كنّ يُثرنَ الصّخب، هازئاتٍ بها، مسبّباتٍ لها مهانةً جمّةً. ويومَ شهدت أمُّها، للمرّة الأولى، ظهور الثامن من أيّار ١٩٨٢، سمعت ألفونسين تشكو للعذراء: «يقول الناس عنّا إنّنا مجنوناتٌ. فما عساه سيُقال عنّا في قريتنا؟».

وقبل بدء القسم الثاني من السنة المدرسيّة، الممتدّ من كانون الثاني حتّى نيسان ١٩٨٢، كانت الطالبات قد أمضين

أسبوعين لدى ذويهنّ، ورجعنَ مثقلاتٍ ملاحظاتٍ، وشكوكًا، ومزوّداتٍ بأسئلةٍ وانتقاداتٍ، مصمّماتٍ على إماطة القناع عن كلّ خداع.

غير أنّ أحداثًا ووقائعَ دامغةً كانت تحرج المنتقدات والمشكّكات. فقد كانت العذراء تعبّر عن امتعاضها من سلوك بعض الطالبات، اللائي لم تكن ألفونسين تعرف عن خفاياهنّ شيئًا، وتجهل وجودهنّ من حولها. وكان بعضهنّ يكلّفنَها بتبريك مسابحهنّ من قِبَل العذراء. فكانت تعلّق المسابح بذراعها، وتقدّمها لأمّ الله، مسبحةً مسبحةً. ومع أنّ تلك المسابح كانت تختلط، فلا يعود يعرف صاحبها الحقيقيّ سوى من كلّفها بمهمّة تبريكها، إلاّ أنّه كان يتّفق أنّ بعض تلك المسابح، عندما تحاول ألفونسين رفعها نحو العذراء، كانت تصبح ثقيلةً جدًّا، ويصعب تحريكها. وقد تبيّن أنّ تلك المسابح كانت تخصّ طالباتٍ غير مؤمناتٍ بظهور العذراء لرفيقتهنّ ألفونسين، وكنّ يتّهمنها بالخداع.

الظهور الأوّل كان قد حدث في قاعة الطعام، ثمّ تمّت

الظهورات اللاحقة في مهجع ألفونسين، داخل قاعة نوم الطالبات. وكانت السيّدة العذراء تنبئ الفتاة، سلفاً، بموعد ظهورها التالي. وسرعان ما ذاع نبأ تلك الظهورات فغدا القوم يتدافعون لمشاهدة الظاهرة، مسبّبين لإدارة المعهد حرجًا، ولنظامه خلخلةً. وشكت ألفونسين الأمر لملكة السماء، التي وعدت بالظهور، لاحقًا، في باحة المعهد، ولا سيّما عندما كانت تحمل رسائل موجّهة إلى الجماهير، فيما استمرّت الظهورات التي تحمل رسائل خاصّةً بالرائية وبأترابها، تتمّ في المهجع، حيث أُنشئ مصلًّى صغيرٌ، كانت بعض الطالبات يلتئمنَ فيه للصلاة، وحيث كان يطيب للأمّ السماويّة موافاتهنّ، كي تغدق نصائح تتعلّق بسير المعهد الأمثل، وبممارسة الصّوم... وكان بعض الظهورات يتمّ في المصلّى الخاصّ بالراهبات. هذه الظهورات الخاصّة كانت تتّسم بطابعٍ أليفٍ حميم، وتتناول تفاصيل خاصّةً بالفتيات، وإرشاداتٍ عمليّةً كفيلةً بدفعهنّ على السراط القويم. وعشيّة الأعياد الكبرى، كانت العذراء تأتي كي تُعدّ بناتِها لهذه المناسبات، وخاصّةً، عندما كانت تضمّهنّ سهراتُ صلاة. كانت

العذراء، حينَها، تقوم، حقًّا، بمهمّة الأُمّ الساهرة على بناتها.

وكانت الطالبات، كلّما طرأت لهنّ مشكلةٌ، تكلّفنَ ألفونسين، أو لاحقًا، رائيةً أُخرى، بتبليغ العذراء مشاعر فرحهنّ، وعرفانهنّ بالجميل، أو أسفهنّ وتوبتهنّ.

وهكذا غدت السيّدة العذراء موجّهة معهد كيبيهو للبنات ومليكته.

ولكن، مع كلّ ما كان يحدث ظلّت فئةٌ من الفتيات مرتاباتٍ بصدق ألفونسين التي صارحنَها بالقول: «لن نؤمن بمجيء العذراء إلى مدرستنا، ما لم تظهر، أيضًا، لأخرياتٍ سواك. وكانت ألفونسين تجيبُهنّ ببراءة:

– «عليكنّ، إذن، بالصلاة، كي تحصلنَ من أمّنا على هذه النعمة».

ولطالما صلّت، هي نفسها، من أجل هذه الغاية، واستجابت الأمّ السماويّة لهذه الصلاة، وكانت استجابتها مصداقًا لظهورها لألفونسين.

ظهورٌ لأناتالي موكامازيمبوكا

(Anathalie MUKAMAZIMPUKA)

في ١٩٨٢/١/١٢ ظهرت السيّدة العذراء، لطالبةٍ أخرى تُدعى «أناتالي موكامازيمبوكا»، واسمها يعني «تلك التي تحسم النقاش». إنّها من مواليد عام ١٩٦٤، وكانت قد انتمت إلى معهد كيبيهو للبنات في شهر أيلول ١٩٧٨، وعُهدت عنها خصال الجدّ والتقوى، والتأثير في أترابها، رغم نزعتها إلى الامّحاء، ونأيها عن حبّ التظاهر. أمّا مؤهّلاتها الفكريّة فكانت متوسّطة.

كانت «أناتالي» نشيطةً في الحركات الشبيبيّة والكنسيّة، ولطالما عدّها حجّاج كيبيهو أكثر الرؤاة صوفيّةً، من جرّاء طبعها الهادئ، وكلَفِها بالصلاة وعمق تأمّلاتها. أمّا الرسالة التي كُلّفت بتبليغها فهي دعوةٌ إلى التواضع والجاهزيّة، وبذل

الذات، والمحبّة، وتعميق الصلاة، كما سنوضح لاحقًا. وقد أبرزت المعنى المسيحيّ للألم في أقوالها وسلوكها.

حدث الظهور الأوّل لها مساء ١٩٨٢/١/١٢، والظهور الأخير يوم ١٩٨٣/١٢/٣. ويومها بكت بكاءً مرًّا.

ظهوراتٌ للطالبة «ماري كلير موكانغانغو»

(Marie-Claire MUKANGANGO)

إمعانًا في إضفاء المصداقيّة على ظهوراتها، ظهرت السيّدة العذراء لطالبةٍ ثالثةٍ في المعهد عينه هي «ماري كلير موكانغانغو». وكان لظهوراتها لها وقعٌ خاصٌّ ونفّاذ، بعد أن فشلت ظهوراتها لأناتالي في تبديد كلّ شكوك الطالبات والمعلّمين، الذين كانوا يأخذون على الفتاة ضآلة مؤهّلاتها الذهنيّة، ومغالاتها في التقوى. وكان لا بدّ من أداةٍ أشدّ إقناعًا فظهرت العذراء لماري كلير منذ ١٩٨٢/٣/٢، وكان ظهورها لها بمثابة قنبلةٍ في المعهد. فلطالما أعلنت ماري كلير هذه، جهارًا، وبشكلٍ قاطعٍ، عدم إيمانها بأيّ شيءٍ ممّا كان يُروى عن ترائي العذراء لزميلتيها.

لم تدم ظهورات السيّدة العذراء لماري كلير أكثر من ستّة أشهر، فقد ودّعتها في ١٩٨٢/٩/١٥.

ولدت ماري كلير عام ١٩٦١، وانتظمت في المعهد عام ١٩٧٧، وكانت في صفّ أناتالي ذاته. وقد اتّصفت بالاندفاع، والتلقائيّة، والصخب حتّى اللاانضباط. وكانت تتمتّع بثقة أترابها اللائي طالما انتَخَبَنَها مندوبةً عن صفّها. كانت كَلِفةً بالرقص والتمثيل، وبتنظيم لقاءاتٍ طلاّبيّةٍ، في أثناء العطل. كانت ابنة عصرها وبيئتها، ولكنّها في مجال التقوى والدين، لم تكن مجلّيةً ولا مثاليّةً، ودأبت على رفض كلّ ما يقال عن ظهورات العذراء، واصفةً ألفونسين بالجنون. ولكنّ العذراء انقضّت عليها في وضح النهار، وفي حميّا رفضها وإنكارها، ومنذئذٍ ما فتئت تردّد القول: «ينبغي التأمّل في آلام يسوع، وفي حزن أمّه العميق. ينبغي تلاوة الورديّة، وبخاصّةٍ مسبحة الآلام السبعة، من أجل نيل نعمة التوبة...».

ظهوراتٌ خارج المعهد

لم تقصر السيّدة العذراء ظهوراتها على الطالبات الثلاث في المعهد، بل ظهرت أيضًا لآخرين، خارج المعهد، هم:

ستيفاني موكامورينزي (Stéphanie MUKAMURENZI)

هي صغرى الرائيات. ولدت عام ١٩٦٨، وكانت في الرابعة عشرة عندما ظهرت لها العذراء، للمرّة الأولى، في ١٩٨٢/٥/٢٥. وكانت ظهوراتها لها قليلةً، ولمدّةٍ قصيرةٍ، فقد حدث الظهور الأخير لها بتاريخ ١٩٨٢/٩/١٥.

ولا تختلف الرسالة التي كُلّفت بتبليغها عن الرسائل التي كُلّف بها الرؤاة الآخرون، ويمكن اختزالها بالدعوة إلى التوبة والتضحية، والصلاة النابعة من القلب، وبالتحذير من مراودات إبليس الساعي إلى هلاكنا.

ڤيستين ساليما

(Vestine SALIMA)

عام ١٩٨٢ شرع القوم يتحدّثون عن تلك الفتاة التي كانت تحدث لها ظهورات منذ سنتين.

هي من مواليد عام ١٩٥٨. والدها مسلم، ووالدتها معمّدةٌ في كنيسةٍ كاثوليكيّةٍ، ولكنّها، عقب زواجها، سُجّلت مسلمة. والداها منفتحان على المسيحيّة، ولم يعارضا التحاق ابنتهما بمدرسة الرعيّة الكاثوليكيّة. وقد تلقّت ڤيستين جميع الأسرار على غرار أترابها، ولكن بلا قناعة.

منذ شهر أيلول ١٩٨١ انضمّت إلى مشغل خياطةٍ في كيبيهو، تديره راهبةٌ تُدعى «تيوبيستا». وهي تؤكّد أنّها نعمت بظهوراتٍ منذ تمّوز ١٩٨٠، أي قبل ألفونسين. ولم يكن على

علمٍ بهذه الظهورات سوى الأخت تيوبيستا، وذويها. وكانت الظهورات تحدث لها في المنزل، ليلاً. أمّا الظهور الأوّل العلنيّ فقد حدث في ١٩٨٢/٩/١٥، في باحة معهد كيبيهو، والظهور الأخير لها تمّ في ١٩٨٣/١٢/٢٤ في منزل ذويها، وفي الهواء الطلق. وقد دَوّنت الرسائل التي تلقّتها، في دفترٍ، عام ١٩٨٣.

ما يميّز الظهورات التي جرت لها هو أنّها بدأت بظهورات يسوع ثمّ شرعت العذراء تظهر لها بدءًا من ١٩٨٢/٤/١٣. وهي تقول إنّها تلقّت من العذراء رسالةً كي تبلّغها للعالم أجمع، وإنّ العذراء أعلنت لها أنّها «راعية العالم أجمع».

إيمانويل سيغاتآشيا

(Emmanuel SEGATAASHYA)

في شهر تمّوز ١٩٨٢، أُذيع في رواندا، نبأٌ كان له تأثيرٌ مدوٍّ: ظهور يسوع لفتى راعٍ وثنيٍّ، يُدعى «سيغاتآشيا»، في الخامسة عشرة من العمر.

ومع أنّ يسوع كان قد سبق له الظهور لـقيستين ساليما، إلاّ أنّ هذا الظهور ظلّ مكتومًا، ولم يُحَط الجمهور علمًا إلاّ بظهورات العذراء لتلك الفتاة. ولا بدْع، بالتالي، إن استُقبِل ظهور يسوع لراعٍ وثنيّ بالهزء والسخريّة.

سأل كاهنٌ ذلك الفتى: «ماذا كنت تعلم عن الكنيسة، وعن المسيحيّة، أو عن يسوع، قبل الثاني من تمّوز ١٩٨٢؟». فأجاب: «لم أكن أعلم شيئًا. دخلتُ كنيسةً، للمرّة الأولى،

يوم الأحد الذي تلا الظهور الأوّل، ولم أكن أدري كيف تُرسمُ إشارة الصليب. حتّى الصليب الذي كنت أشهده قرب الكنائس والأديرة لم أكن أدرك له معنى. سمعتُ عن يسوع كما سمعت عن أيّ إلهٍ وثنيّ».

وُلد «سيغاتآشيا» عام ١٩٦٧، وهو بكر والديه، وأكبر إخوته الخمسة. لم يغشَ مدرسةً، ولم يكن بوسعه الإلمام بأيّ شيءٍ من أمور الدين، ولا سيّما أنّ جميع ذويه كانوا أمّيّين ووثنيّين، وكانوا يقطنون مكانًا منعزلاً، لا إذاعة فيه، ولا تطاله أيّةٌ من وسائل الإعلام.

وتقاطر فضوليّون ومؤمنون للاطّلاع على الأمر الغريب. وكانوا جميعهم يدهشون لما يسمعون من ذلك الوثنيّ الأمّي، متسائلين من أين استقى معلوماته الصائبة عن الأسرار والعقائد المسيحيّة. وكان إقبال القوم من أجل سماعه ومراقبته يتكاثف يومًا فيومًا، بحيث كادوا يدمّرون مسكن ذويه. ورئف بهم الربّ، فضرب له موعدًا في مكانٍ آخر، وفي كيبيهو عينها.

وفضلاً عن ظهورات يسوع العديدة له، المرفقة برسائل، تسنّت للفتى زيارات العذراء.

في ١٩٨٢/٩/١٨، بعد انقضاء أقلّ من ثلاثة أشهرٍ على الظهور الأوّل، كُلّف بتبليغ رسالةٍ موجّهةٍ إلى الكهنة والراهبات والرهبان. وفي شهر تشرين الأوّل من العام نفسه، سُجّل في عداد الموعوظين، تأهّبًا لنيل سرّ العماد. ومنذ البدء اتّضح أنّه نسيج وحده في كلّ ما يتعلّق بما تلقّاه من الربّ في أثناء الظهورات، مثل الصلاة، والتوبة، والعودة إلى أحضان الله، والمسبحة الورديّة، الخ، في حين كان يجهل كلّ ما لم يرد ذكره في الظهورات. وقد نال سرّ العماد، يوم عيد العنصرة من عام ١٩٨٣، متّخذًا اسم «إيمّانويل»، تلبيةً لطلب الربّ. وبعد بضعة أشهرٍ نال سرّ التثبيت، وكانت تلك سرعةً قياسيّةً، إذ إنّ مدّة تأهّل الوثنيّين للعماد، في رواندا، تستغرق، عامّةً، أربع سنواتٍ، وقد قُصّرت مهلة تأهيله إلى تسعة أشهر.

وبعد ثلاثة أشهر من التعليم الأساسيّ، كان يقرأ ويكتب.

وقد أعلن «سيغاتآشيا» أنّه تلقّى رسالةً كي يبلّغها إلى البلدان المجاورة، وأنّه سيفعل ذلك حالما سيبلغ سنّ الرشد القانونيّة.

أنييس كاماغاجو

(Agnès KAMAGAJU)

هي، أيضًا، نعمت بظهورات يسوع لها. ولدت عام ١٩٦٠ من والدين مسيحيّين واكتفت بالدراسة الابتدائيّة.

يوم تمّ لها الظهور الأوّل، كانت إجراءات خطوبتها قائمةً، ولكنّها توقّفت إثر ذلك.

ظهرت لها العذراء، للمرّة الأولى، ليلة ١٩٨٢/٨/٤، في بيت والديها، وعرّفت ذاتها بأنّها «الأمّ السماويّة». ثمّ، بدءًا من ١٩٨٢/٨/٩ باتت تطلق على نفسها اسم سيّدة، «الحبل بلا دنس». وقد أخطرت الفتاة أنييس بأنّها سترى، لاحقًا، يسوع. وقد تحقّق ذلك بدءًا من ١٩٨٢/٩/٢٥. وكانت

ظهورات يسوع لها، في الواقع، أكثر تواترًا، وتتمّ في العلن، في حين كانت ظهورات العذراء لها خاصّةً.

انتهت ظهورات يسوع لها في ١٩٨٣/٨/٢٩ وظهورات العذراء في ١٩٨٣/٩/٢٥. وفي ١٩٨٣/٨/١٨، تلقّت من يسوع رسالةً كي تبلّغها إلى شبيبة كيبيهو والجوار. وفي أثناء بعض الظهورات لها، كانت تحدث ظواهر عجيبةٌ في السماء وعلى قرص الشمس.

فحوى الرسائل التي تلقّتها: دعوةٌ إلى التوبة واليقظة، وإلى الصلاة الصادقة، والإيمان الحيّ، والإقلاع عن خطايا عبادة الأوثان، والفجور، والرياء، وعن العمل بقلبَيْن، وسلوك دربَيْن، وضرورة اتّباع دربٍ واحدٍ، الدرب المفضي إلى يسوع.

في نهاية ١٩٨٣، انتهت الظهورات لجميع الرؤاة، ما خلا ألفونسين.

ملاحظاتٌ عن ظهورات كيبيهو

غالبًا ما كانت الظهورات تحدث في مناسباتٍ معيّنةٍ: ٣١ أيّار، عيد البشارة، إثنين العنصرة. وحينها كان عدد الحشود يناهز خمسة عشر ألف نسمة. في باحة معهد كيبيهو للبنات أُقيمت منصّةٌ، وأُثبتت مكبّرات صوتٍ جبّارةٌ، وبفضلها كان القوم يقفون ساعاتٍ طويلةً ساكنين، راضين، كما حدث يوم عيد انتقال السيّدة العذراء، في ١٩٨٢/٨/١٥، وقد بلغ عدد الحضور، آنذاك، عشرين ألفًا.

ويوم ظهرت العذراء لكلٍّ من ڤيستين ساليما وساغاتاآشيا، في فناء الكنيسة، بمناسبة عيد الحبل بلا دنسٍ، في ١٩٨٢/١٢/٨، غَصّت الكنيسة وجوارها بالحشود، وما انفكّت الحافلات تصبّ ركّابها سحابة النهار، بلا انقطاعٍ.

وطلبت العذراء من ڤيستين أن تشير بإيماءاتٍ إلى ما تقوله

لها، وعندما قالت لها: «قولي لهم إنّ ابن اللّه الحقّ، هو الذي يسجد أمام ربّه»، ارتمت قيستين أرضًا، ثمّ راحت تسير ببطءٍ، فيما كانت العذراء تدلّها على درب السماء الضيّق والوعر. وألّف شبّانٌ زائريّون حلقةً لوقاية الفتاة من التدافع، والسماح لها بالتحرّك بحرّيّةٍ.

واستمرّ تقاطر الحشود يتكثّف بدوافع شتّى: فمن القادمين مؤمنون وفضوليّون، ومشكّكون، وطالبو لهو، لا يلبثون أن ينقلبوا حجّاجًا دائبين على الصلاة والإصغاء إلى رسائل السماء. بعضهم يأتون من بعيدٍ، حفاةً، ويقضون ليلتين أو أكثر في العراء، أو تحت أشجار الغابة، راقدين على اليابسة، مكتفين بالزهيد من الطعام، أو يتجشّمون عناء السفر بالسيّارات على طرقاتٍ وعرةٍ، محفوفةٍ بالمهالك، فهي، في الشتاء، موحلةٌ، حافلةٌ بمخاطر الانزلاق إلى الوديان، وفي موسم الجفاف، تعجّ بغبارٍ خانقٍ. ومع ذلك يعود المغامرون من رحلتهم سعداء، كي يُخبروا مَن لم يستطيعوا المجيء، بما رأوا أو سمعوا.

في كيبيهو ما من رؤىً جماعيّةٍ، كما حدث في فاطمة أو في ميديوغورية، فالظهورات دائمًا فرديّةٌ، وقد تحدث بالتوالي لعددٍ من الرؤاة، وتدوم لبعضٍ منهم، مثل أناتالي وساغاتآشيا، أكثر من ساعتين، ومع ذلك يظلّ الحضور ساكنين صابرين، متيقّظين، مأخوذين.

موعد الظهورات يُعلن عنه مسبّقًا، تارةً، وتارةً أخرى يخمّنه الجمهور، ويتأهّب له الرؤاة بالصلاة والخشوع. الرائيات يأتينَ، غالبًا في ثياب العيد. أمّا ساغاتآشيا، فكان يأتي، بادئ الأمر، بثياب الراعي، وببنطاله الأحمر القصير، في بساطةٍ أكسبته تعاطف الجموع.

يبدأ الظهور، عمومًا، بحركةٍ مفاجئةٍ، حركة مَن تلقّى، بغتةً، دعوةً، فيحملق إلى العلاء، ولكأنّ الرائي منقطعٌ عن العالم كلّه، وعن محيطه.

قد يكون منتصبًا أو راكعًا، ولكنّه، في جميع الأحوال، ثابت النظر على موقعٍ واحدٍ. وغالبًا ما يبدأ الظهور والرائي أو الرائية، في حالة انخطاف.

يُستهلّ الظهور بحوارٍ يعقده الرائي مع الزائر السماويّ. أو بنشيدٍ، ويحدّثه كما لو كان ذلك الزائر كائنًا ماثلاً أمامه، بلا حرجٍ، وبكلّ ثقةٍ وبساطةٍ. ولا يسمع الجمهور سوى أقوال الرائي، ولكنّه، من سياق الحديث، يستطيع، أحيانًا، تخمين أقوال الزائر السماويّ، الذي يدلي، غالبًا، برسائل تنطوي على تعليمٍ روحيٍّ، رفيع المستوى. أمّا عندما تتعلّق الرسائل بشؤون الرائي الشخصيّة، فيسود، أحيانًا، صمتٌ طويلٌ. وقد تتخلّل الحوار بسماتٌ، وتأكيداتٌ، وأفعال شكرٍ، وأناشيد، وصلوات شفاعةٍ.

ويتّفق أن يفرك الرائي عينيه مبهورًا بالنور السماويّ، وقد يعتريه الغمّ، ويغرق في البكاء، متأثّرًا بالحزن البادي على العذراء، أو بمشاهد آلام يسوع المريعة، أو بمشاهد العنف المتفشّية في العالم. وقد يبكي الرائي فرحًا، كما فعلت أناتالي عندما سُمح لها بالمضيّ إلى ذويها، بعد أن طُلب منها البقاء، وحيدةً، في المعهد، في أثناء إحدى العطل المدرسيّة.

وقد تبيّن أنّ الرؤاة، في أثناء الظهورات، غالبًا ما يكونون

مشرقي الوجوه، تتجلّى عليهم أنوار السماء، وتُحدث أقوالهم الدهشةَ بتعقّلها، وحكمتها، وصدقها، وجرأتها. وقد أكّدوا، جميعهم، أنّهم كانوا يؤنسون، طيلة الظهورات، سلامًا وفرحًا عارمَين.

سقطات الرؤاة

يدهش الحضور، في أثناء بعض الظهورات، إذ يشهدون الرائي يهوي بغتةً، ويرتمي أرضًا، مثلما تهوي شجرةٌ قُطعت. وقد يستمرّ على هذا الوضع دقائق، وهو يتابع حواره مع الزائر السماويّ، وإنشاده، وصلاته. ثمّ يهبّ، فجأةً، منتصبًا، وكأنّ نابضًا يحرّكه. وقد يكون السقوط إلى الأمام أو إلى الخلف، وقد يصطدم رأس الرائي بالحضيض. وإن كانت هذه السقطات موجعةً، إلاّ أنّها لم تُحدث، أبدًا جروحًا، أو أورامًا، أو تأثيرًا على مشيته.

في ١٩٨٣/٢/٢٦، وكان ذاك يوم صومها الحادي عشر، سقطت أناتالي عدّة مرّاتٍ، وفي ١٩٨٢/١١/١٣ سقط ساغاتآشيا خمس عشرة مرّةً، وتألّم كثيرًا.

وقد وقعت مشاهد آلام يسوع من نفس كلٍّ من أناتالي،

وألفونسين، وماري كلير، وقعًا عميقًا، وكانت سقطاتهنّ تكفيرًا عن خطايا العالم، أو دليلاً على الضعف البشريّ المحتاج، في كلّ لحظةٍ، إلى عونٍ إلهيٍّ، والذي يهوي تلقائيًّا، عندما يُسحب عنه هذا العون.

نهاية الظهور يُعبَّر عنها بسقوط الرائي سقوطًا مدوّيًا ومفاجئًا، يشبه الإغماء، إذ تكون القوةّ السماويّة التي كانت تشدّ أزره قد انسحبت. وقد تدوم هذه الحال بضع دقائق، يكون الجسم، في أثنائها، متصلّبًا، وكأنّه جثّةٌ هامدةٌ.

تبريكٌ

أَلِفَ القوم إحضار دلاءٍ وأوعيةٍ مليئةٍ ماءً لتبريكها من قِبلِ يسوع أو أمّه، في أثناء ظهورهما. وفي نهاية كلّ ظهورٍ كان يسوع أو العذراء يطلبان من الرؤاة مباركة الجمهور. وفي معظم الأوقات، لا يبصر الرائي الأشخاص الذين يباركهم، ولا الأشياء التي يباركها، بل تُظهر له السماء ما يرمز إليها. فيرون، مثلاً، حقولاً فيها زهورٌ، بعضها نضرٌ، وبعضها ذاوٍ، أو غاباتٍ فيها أشجارٌ شامخةٌ مخضلّةٌ، وأخرى واهية النموّ، قصيرةٌ، يعروها اليباس. وتطلب العذراء من الرؤاة ريّ هذه النباتات بالماء الذي باركته، وبإزالة الأعشاب الضارّة المحيقة بها. وحينئذٍ يصبّ الرؤاة الماء على أشخاصٍ، وهم يظنّون أنهم إنّما يروون نباتات. وقد أوضحت العذراء أنّ النباتات المخضلّة تمثّل أشخاصًا قلوبهم متّجهةٌ نحو الله، والنباتات

الذاوية تمثّل أشخاصًا قلوبهم مأخوذةٌ بحطام الدنيا، وخاصّةً بالمال.

وغالبًا ما تواكب تبريكَ الرؤاة، أمطارٌ قد تكون غزيرةً أو خفيفةً، تبتغي العذراء، من خلالها، إظهار قدرة الصلاة، والنّعم التي يسعنا الحصول عليها بشفاعتها. وإليكم وصف أحد الشهود لمباركة أناتالي لمسابح، في ١٩٨٢/٤/٢٤:

«أغمضت الفتاة عينيها، وتخشّعت تخشّعًا عميقًا، ثمّ أحاطت ذراعها بمسبحتها وبسطت يديها فوق المسابح، وبعد لحظةٍ فتحت عينيها، وقالت:

«فليُقدّس روح الله يديّ!

وليُقدّس روح الله فمي،

وليُقدّسني روح الله بكاملي،

وليبارك روح الله نفسي، كي أستطيع مباركة هذه المسابح، عسى أن ينال الذين يستخدمونها للصلاة الحياة الأبديّة!»

ولكلّ راءٍ أُسلوبه الخاصّ في المباركة. فقستين،

وساغاتآشيا، وأناتالي يباركون مثلما يبارك الكاهن بيده، وتنفرد أناتالي، وهي تبارك، بإنشاد «بركة العذراء مريم»، وهي تستخدم، أحيانًا، الماء، وأحيانًا الكتاب المقدّس الذي تفتحه فوق رأس الشخص المبارَك، وترتجل صلاةً بليغة المعاني. وترشدها العذراء إلى الأشخاص الذين يتعيّن عليها مباركتهم، وهي تكتشفهم وسط الجمع، أو حتّى داخل الحافلات. وقد اعترف جميع الذين نالوا بركتها بالخير العميم الذي حلّ عليهم. وكانت العذراء قد أخطرتها: «ليس الماء الذي تطلبينه هو الذي يؤتي البركة، بل كلّ إشارةٍ آتيةٍ منّي هي التي تُحلّ البركة». وهذا هو سرّ تعدّد أساليب مباركتها.

وقد يكلَّف الرؤاة بتبليغ أشخاصٍ معيّنين رسالةً أو إجابةً على سؤال. وغالبًا ما خُصّت ألفونسين بهذه المهمّة، بسبب تميّزها بالتكتّم.

صلواتٌ

في أثناء الظهورات يستغرق الرؤاة في صلاةٍ حارّةٍ. أحيانًا يتلونَ الورديّة، أو جزءًا منها، وأحيانًا يتلونَ الصلوات المألوفة: قانون الإيمان، وأفعال الإيمان، والرجاء والمحبّة... وقد حدث لقستين أن تلت المسبحة كاملةً، وهي مصلوبة الذراعين، ولم تتراخَ لحظةً. وفي نهاية الظهور، ارتجلت صلاةً من أجل جميع قاطني الأرض، ومن لا يخطرون ببال أحدٍ، ومن أجل النفوس المطهريّة، ومن تخامرهم شكوكٌ في إيمانهم، ومن أجل المكرَّسين، نفسًا وجسدًا، لقضيّة الإنجيل، وملتمسي مزيدٍ من حبّ الإفخارستيّا، والذين يحرمون ذواتهم من حبّ اللّه الرؤوف، ومن حنان العذراء الأموميّ، ومن أجل العالم أجمع.

يصلّي الرؤاة من أجلنا جميعًا، ويستغفرون يسوع والعذراء عن خطايانا، وغالبًا ما يرافقهم الجمهور في صلواتهم وأناشيدهم، وتلقّنهم أمّ الله أناشيد يطيب للشبّان الروانديّين ترديدها.

رحلاتٌ إلى العالم الأخر

ومن ميزات ظهورات كيبيهو رحلاتٌ طويلةٌ قام بها بعض الرؤاة إلى عوالم أخرى، كانت العذراء، فيها، الدليلَ، عوالم تنطبق أوصافها على السماء والمطهر وجهنّم.

ألفونسين هي التي قامت بأولى هذه الرحلات، بين ٢٠ و٢١ آذار ١٩٨٢. وكانت قد أخطرتها السيّدة العذراء، مسبّقًا، بهذه الرحلة، وهي، بدورها، أخطرت الراهبة المرشدة ورفيقاتها، قائلةً: «سأبدو ميتةً، ولكن لا تخفنَ، ولا تدفنّني». رحلتها دامت ثماني عشرة ساعةً، كانت الفتاة، أثناءها، في حالة لاوعيٍ وغيبوبةٍ، متيبّسة الأعضاء، لا تبدي أيّ ردّ فعلٍ، وثقيلة الوزن، يصعب تحريكها، وكأنّها كتلةٌ حجريّةٌ ضخمةٌ صمّاء.

وقد تسنّت لأناتالي ثلاث رحلاتٍ من هذا النّمط، دامت الأولى أربع ساعاتٍ، والثانية سبع ساعاتٍ، والثالثة تمّت تحت مراقبةٍ دقيقةٍ من قبل لجنة التحقيق، وقد دامت، أيضًا، سبع ساعاتٍ متواصلةٍ.

وحظيت ڤستين ساليما، أيضًا، برحلةٍ دامت من أوّل نيسان ١٩٨٣، يوم الجمعة العظيمة، ظهرًا، حتّى فجر الأحد، يوم عيد الفصح، الثالث من نيسان. وقد اتّضح لمراقبٍ رسميٍّ أنّها بقيت أربعين ساعةً في وضعٍ واحدٍ، بلا حراكٍ. وقد أفادت، لاحقًا، أنّها، شاهدت ثلاثة أماكن مختلفةٍ، وصفتها بقولها:

«أرتني العذراء، أوّلاً، هوّةً مليئةً نارًا، كي تبيّن لي ما هي النار الأبديّة. ولكنّها قالت لي إنّ جهنّم ليست نارًا، بل هي العذاب الدائم، النّاجم عن الحرمان من حضور اللّه ومن رؤيته.

«ثمّ أرتني طغمةً من أولادٍ يصلّون وينشدون، وهم قائمون

في نورٍ خافتٍ، ويبدون سعداء رغم عذاباتهم. وقالت لي العذراء إنّ ذاك هو المطهر، المكان الذي تتمّ فيه المصالحة مع اللّه، وحيث على المرء أن يفي ديونه قبل بلوغه اللّه.

«وأخيرًا أرتني السماءَ، وهو مكان نعيمٍ، حيث رأيت الملائكة يباركون اللّه، يغمرهم نورٌ متألّقٌ، وفرحٌ كاملٌ. هناك كانت السعادة القصوى...».

واتّضحت وجوه شبهٍ كثيرةٌ بين أوصاف الرائيات لما رأينَ، وإن تباينت مراحل رحلاتهنّ. فألفونسين استهلّت رحلتها من جهنّم، وانتهت بالسماء، في حين بدأت أناتالي رحلتها من السماء التي دعتها العذراء مكان «التواصل»، و«ملء الفرح»، وانتهت بجهنّم التي وصفتها بأنّها مكان «العقاب» وسكّانها هم «العاصون على الإصلاح»، مرورًا بالمطهر الذي وصفته العذراء بأنّه مكان «الامتحان» حيث يقيم «الصابرون».

أصوامٌ

ومن الظواهر المدهشة في كيبيهو الأصوام الطويلة التي مارسها بعض الرؤاة، وفترات الصمت المتمادية التي التزموا بها، خلال فترة الصيام الكبير، عام ١٩٨٣. وقد راقبت لجان التحقيق، على نحوٍ خاصٍّ، صوم كلٍّ من ساغاتآشيا وأناتالي.

كان على أناتالي أن تصوم ١٤ يومًا، بدءًا من ١٦ شباط حتّى ٢ آذار ١٩٨٣، مكتفيةً بالإفخارستيا غذاءً، طيلة الأيّام الثمانية الأولى، التي لم تتناول فيها شيئًا، لا طعامًا ولا شرابًا. ولكن سمح لها الربّ، في الأيّام الستّة التالية، بارتشاف الماء باعتدال. وقد قامت على مراقبة ذلك الصيام ثماني ممرّضاتٍ. في يوم صيامها الثامن، أي ليلة ١٩٨٣/٢/٢٣ حدث لها ظهورٌ، وظلّت راكعةً مدى ساعةٍ

كاملةٍ، وهي صامدةٌ، لا ترتجف، كما يحدث للجياع. وكان أمامها ماءٌ، ولكنّها لم تمدّ إليه يدًا، إلى أن سمح لها يسوع بذلك. وفي يوم صومها الحادي عشر، ظهرت لها العذراء، ظهورًا استمرّ ساعتين إلاّ ربعًا، تحت شمسٍ حارقةٍ.

وصام إيمّانويل سيغاتآشيا، ثمانية عشر يومًا، بدءًا من ٧ آذار حتّى ٢٤ آذار ١٩٨٣. مدى سبعة أيّامٍ لم يتناول طعامًا ولا شرابًا. أمّا في خلال الأحد عشر يومًا الأخرى، فكان يرتشف القليل من السوائل. وقد طُلب منه التزام الصمت التامّ، سحابة تلك الفترة، وأُصيب، أثناءها بصممٍ كاملٍ. وكان عليه أن يرقد، مدى أحد عشر يومًا، على الحضيض، فوق الإسمنت. وقد تمّ كلّ ذلك، تحت مراقبةٍ صارمةٍ، في دار رعيّة كيبيهو، ثمّ في دار الأسقفيّة.

وصامت أنييس كاماغاجو، ثمانية أيّامٍ بين ٢٧ شباط و٦ آذار ١٩٨٣.

وأفاد الرؤاة الثلاثة أنّهم قاموا بهذه الأصوام تلبيةً لطلب يسوع وأمّه، مساهمةً في آلام يسوع، وتحقيقًا لرسالة التوبة

التي أُعطيت في كيبيهو، وتمثّلاً بصوم يسوع الذي عانى الجوع والعطش، مستغرقًا في الصلاة والتأمّل، والخضوع لمشيئة الآب.

واعترف الرؤاة الثلاثة، أيضًا، أنّ شابًّا أنيق الهندام تراءى لكلٍّ منهم، في يوم صيامهم الثاني أو الثالث، وقدّم لهم طبق فواكه مغرية. فهل كانت تلك تجربةً شيطانيةً؟ على أيّة حالٍ لقد أبرزوا جميعهم روحانيّة صومٍ مسيحيّةً رائعةً.

أقوالٌ

لوحظ أنّه عندما يستخدم الرؤاة العبارات نفسها التي تلقّوها من يسوع أو العذراء، تدهش أقوالهم بصوابها وروعتها. أمّا عندما يتعيّن عليهم التعبير عن خبراتهم بوسائلهم الخاصّة، فهم يواجهون العجز والعيّ.

وقد أجمعوا، كلّهم، على وصف العذراء بأنّها ذات جمالٍ منقطع النظير، وعجزوا عن تحديد لون بشرتها، فلا هي بيضاء، ولا هي سوداء، ولا هي هجينةٌ. صوتها عذبٌ كالموسيقى، وثوبها أبيض مسترسلٌ حتّى قدميها، يعلوه غطاء رأسٍ أبيض أو سماويٌّ.

والعذراء، عادةً، تضمّ يديها عند صدرها، وكأنّها تؤكّد: «كلّ خيرات اللّه مخزونةٌ فيّ»، وأحيانًا، تبدو باسطة

الذراعين للدلالة على كونها موزّعة النعم، في وضع حنانٍ وترحيب.

وبُغيةَ إلقاء مزيدٍ من الضوء على ظاهرة كيبيهو، نورد، في الصفحات التالية، أقوالاً وحواراتٍ مع السماء، ومواقف لكلٍّ من الرؤاة السبعة.

الرؤاة والرسائل

ألفونسين موموريكي

(Alphonsine MUMUREKE)

اختارتها السيّدة العذراء كي تبلّغ، بواسطتها رسائل إلى أفرادٍ وجماعاتٍ، وإلى الأسقف نفسه. وقد أُودعت سرًّا تبوح به، في حينه.

وهي، حتّى في أثناء الظهورات، تبقى طبيعيّةً، مع كون روحها في عالمٍ آخر. تكلّم العذراء كما لو كانت تكلّم أعزّ صديقاتها، وبسذاجة طفلٍ يكلّم أمّه، بلا حرجٍ، وهي، غالبًا، تدعو العذراء «ماما». ويوم لامها بعضهم لأنّها تكلّمت عن العذراء بأُلفةٍ، وبعبارةٍ يمكن ترجمتها بـ «عزيزتي»، طمأنتها أمّ الله قائلةً:

«عندما يكون ولدٌ بلا لومٍ أمام أمّه، يبوح لها بكلّ ما يختلج في قلبه. وعلى أيّة حالٍ، أنا لا أتصرّف تصرّف البشر. ومع أنّي أمّ اللّه، أعرف أن أكون بسيطةً ومتواضعةً، وأن أكون بتصرّفكم، أكثر ممّا أنتم تقدرون. على هذا النحو أحبّ الولد الذي يلهو معي، فهذا هو عندي أجمل دليل ثقةٍ وحبٍّ. إنّ الذين لاموك لا يدركون أسرار اللّه. كونوا معي مثل أولادٍ صغارٍ، فأنا، أيضًا، أحبّ مداعبتكم. ولو كنت غاضبةً منكم، فهل كنتم تجرؤون على مخاطبتي هكذا؟ الأفضل أن تدلّل كلّ أمٍّ ابنها كي يبوح لها بكلّ ما يريد. وعلى الولد ألاّ يخشى أمّه».

ولطالما ردّدت ألفونسين أنّ على ابن مريم ألاّ ينفصل عن الصليب. وكذلك كانت تقول أناتالي. وقد عانت ألفونسين اضطهاداتٍ شديدةً، وأُسيء فهمها، واتُّهمت بالجنون، في حضور أمّها، وحينها قالت لها العذراء:

«هنيئًا للأمّ التي وضعت مجانينَ اللّه!».

ولم يكن الألم يمنع ألفونسين من مواصلة الإنشاد

والصلاة. يوم ١٩٨٣/٨/١٥ رأت العذراء حزينةً، فبكت بمرارةٍ، ولكن، في ذكرى الظهور الأولى لها، أي في ١٩٨٣/١١/٢٨، أنشدت «تعظيمة» العذراء بحركاتٍ معبّرةٍ، وبوجهٍ متجلٍّ، وكان منظرها رائعًا.

وتهوى ألفونسين تأليف الأناشيد للعذراء، وكثيرًا ما تصلّي من أجل الدعوات الكهنوتيّة، ومن أجل اهتمام الشبيبة بشؤون النفس، أكثر من اهتمامهم بشؤون المتع الجسديّة، وحطام الدنيا.

أناتالي موكامازمپوكا
(MUKAMAZIMPUKA)

ظهورات يسوع والعذراء لها كثيرةٌ وغنيّةٌ. ومن ثمّ يصعب إيجاز رسالتها. شعارها: «أنا عطشى إليك، يا ربّ».

يوم ١٩٨٢/٥/٣١ سألت العذراء، في صلاتها، ماءً لكيبيهو، نبعًا عجيبًا. ولكنّ العذراء أفهمتها أنّ الإنسان أشدّ حاجةً إلى ماءٍ آخر، الماء الذي قال عنه يسوع: «**مَن آمن بي، ستجري من جوفه أنهار ماءٍ حيٍّ**». وقالت أناتالي: «إن خيّرتموني بين الموت وهذا الماء، فسأختار الموت كي يحصل البشر على هذا الماء ويحيوا».

أناتالي تصلّي، وتضحّي بذاتها، وتصوم من أجل البشر. هي، أكثر من سائر الرؤاة عطشًا، في أثناء الظهورات، تشرب من الماء المبارك، فتنتعش، ولكنّ الظمأ يلازمها.

وهي أكثر مَن تكلّفهم العذراء بتبريك الناس والماء والأشياء، ولها، في التبريك، أساليب متنوّعةٌ، كي تُظهر أنّ المهمّ هو ما يأتي من العذراء، لا الأسلوب عينه. وقبل مباشرتها التبريك تلتمس تطهير كلّ أعضائها، وكلّ نفسها. وهي تهوى تبريك المسابح التي تصفها بأنها «قوّة المسيحيّ».

وإليكم نموذجًا من صلاتها قبل مباركة الماء وأشياء أخرى:

«منكِ يا من تبتغين لنا الحياة الحقّة، نسأل البركة. نلتمس نعمتك لكي نبقى دائمًا قريبين منك. أنتِ عالمةٌ بضعفنا، يا أمّنا، وكم نفتقر إلى القوّة! فنحن، بمعزلٍ عنكِ، لا نقوى على شيءٍ. ارأفي بنا، وباركينا.

«إنك تقرأين كوامن القلوب، وتعرفين احتياجاتنا ورغباتنا. فتقبّلي كلّ هذه الأشياء وباركيها. إيّاك نولي ثقتنا، ومنك ننتظر كلّ خيرٍ، ونرجوك أن تتقبّلينا. تقبّلي قلوبَنا، وليتقدّس بك كلّ ما نستخدمه.

«باركينا، إن كنّا جديرين ببركتك. كثيرون منّا ينشدون طريقك، ويرغبون في المجيء إليك، ولكنّنا لا نجد إليك

السبيل. ولكن، بقدرتك وبركتك نرجو كلّ شيءٍ. لذلك نصلّي إليك، ونلتمس بركتك.

«كلَّ يومٍ، نرغب في أن نكون معكِ، ولكنّنا نصطدم بما يردّنا عنكِ. وكلَّ يومٍ، نرغب في خدمتك، ولكن كم من عقباتٍ تحول دون تحقيق رغبتنا!

«إنّنا نستمدّ من بركتك خيرًا وفيرًا، ولذلك نلتمس منك هذه البركة، لعلّها تؤتينا الفائدة والمنعة، كلّ أيّام حياتنا.

«أيّتها العذراء مريم، يا أمّ الله، نرجوك أن تغيثينا في الشدائد، وأن تباركينا في الفرح واليُسر. ونأتي إليك سائلين كلّ خيرٍ، ومودعين كلّ شيءٍ بين ذراعيكِ.»

هذه البركات تساعد كلّ إنسان كي يكون ابن مريم، التي طالما شكت من صَمم البشر ومن تقاعسهم، فقد قالت لأناتالي، يوم ١٩٨٢/٨/٢:

«أكلّمكم ولكنّكم لا تسمعون. أريد أن أنهضكم، ولكنّكم تظلّون طريحي الحضيض. أدعوكم ولكنّكم تصمّون آذانكم. متى ستلبّون دعوتي؟ إنّكم لا تبالون بأيٍّ

من نداءاتي. متى ستفهمون؟ ومتى ستُعنون بما أريد قوله لكم؟ إنّي أوجّه إليكم إشاراتٍ كثيرةً، ولكنّكم لا تؤمنون. حتّى متى ستُغفلون نداءاتي؟».

ولطالما كرّرت العذراء شكواها هذه، مؤكدةً أنّها جاءت لتقويم ما هو معوجٌّ، ولمّ شمل ما هو مشتّتٌ، وجمع ما هو منفصلٌ، والهداية إلى سبيل اللّه، وإلى درب الخلاص، مبرهنةً، بذلك، عن عميق حبّها للبشر، حبّ أمٍّ لبنيها، وعن قلقها عليهم من الأخطار المحدقة بهم، ومشدّدةً على فضيلتين أساسيّتين: التواضع والجاهزيّة للخدمة، فضيلتين كانت العذراء لهما القدوة المثلى.

وقد سألت العذراء أناتالي، يومًا: «**ترين أنّني أحبّكم، فهل أنتم تحبّوني؟**».

ومن الدروس التي لقّنتها العذراء لأناتالي: «**استيقظوا، انهضوا، اغتسلوا، وأنعموا النظر**»، أي انعتقوا من قيود العالم التي تمنعكم من السير على دروب اللّه، واغتسلوا بسرّ التوبة، وتنبّهوا لما تريكم العذراء».

ولكم تمنّت أناتالي أن يخلص البشر من عماهم، فيبصروا إشارات السماء، وأن يشفوا من صَممهم، فيسمعوا نداءات يسوع وأمّه العذراء! ومن أجمل صلواتها، تلك التي قالتها في أثناء ظهورٍ بتاريخ ١٩٨٢/٨/١٥: «يا أمّي، ارسمي صورتك في قلبي، كي يستطيع كلّ من يراني أن يقول: «هذه هي، حقًّا، ابنة مريم!».

وتعلّمت أناتالي أنّ الطريق إلى الله يعبر من خلال الألم. وفي صلاةٍ لها بتاريخ ١٩٨٣/٩/٣ خاطبت العذراء بقولها: «الألم الآتي منكِ مترعٌ حبًّا. إنّك تريدين أن ننهج الدرب الذي سلكتِه أنتِ، كي تجعلي منّا أبناءك. ولذلك تقولين، بصوابٍ: «**الدرب الحقّ هو الألم**».

وقد واجهت أناتالي مِحَنًا عديدةً. فعقب الظهور الأوّل عميت مدى ١٥ يومًا، ولم يخطر ببالها أن تراجع طبيبًا، ثمّ شفيت فجأةً، وأنبأتها العذراء أنّها ستتألّم كثيرًا، وأنّها، بالألم، ستخلّص نفسها، وستسهم في خلاص الآخرين. لقد دُعيت إلى ألمٍ تكفيريٍّ.

كان عليها أن تقاسي آلامًا جمّةً، وقد تقبّلتها جميعها بفرحٍ ورضًى.

عام ١٩٨٢ طلبت منها العذراء الكفّ عن متابعة دراستها، لأنّ لديها دعوةً فُضلى. وكانت تضحيتها بشهادةٍ جامعيّةٍ تعني التخلّي عن مفتاح أبواب العمل، والمال، والمقام الاجتماعيّ، والتقدير، وعن سنى حلمٍ يراود خيال الآباء والأبناء معًا. ثمّ طلبت منها، في إحدى العطل المدرسيّة، أن تبقى وحيدةً في معهدٍ خاوٍ، باردٍ، صامتٍ، ميتٍ. وعندما سمحت لها بالذهاب إلى بيت ذويها، بكت فرحًا. ثمّ كان صيامها الذي امتدّ أربعة عشر يومًا. وقد تقبّلت كلّ هذه التضحيات بفرحٍ، على أنّها إرادة اللّه.

في عالمٍ بات يسخر من التضحية، والإماتة، والتوبة، أعادت أناتالي لهذه المفاهيم معناها الخلاصيّ السامي، فهي السبيل إلى الاقتراب من اللّه، وإلى تطهير الذات. وقد أَلِفت ترديد قولٍ: «سبيل الألم يمكن أن يكون سبيل الحبّ. ولكَم من معاقين، ومرضى، ومعذّبين ملأ الحبّ حياتهم فرحًا!».

اتّحاد أناتالي بيسوع وبمريم هو الذي مكّنها من إسباغ السموّ على الألم. فالألم المحتمل بحبٍّ يطهّر الصلاة. وكان لدى أناتالي قدرةٌ مدهشةٌ على الصلاة، تمكّنها من تلاوة ثلاث مسابح ورديّةٍ معًا.

وقد طلبت العذراء من أناتالي السعي إلى إشادة معبدَين في موقع الظهورات: مصلًّى صغيرٍ يُطلقُ عليه اسم «مصلّى الآلام السبعة» وفيه «يُقوّم المعوجّ»، وكنيسةٍ فسيحةٍ تدعى «مكان لمّ شمل المشتّتين». وكانت العذراء تظهر لها في موقفَين مختلفَين:

– يداها مضمومتان عند صدرها، ما يعني: «كلّ شيءٍ يُصنع فيّ».

– ذراعاها مبسوطتان إلى الأسفل، وهي، حينئذٍ تمثّل: «موزّعة النعَم».

ولم تكن أناتالي تعير التفاصيل اهتمامًا كبيرًا، بل تُعنى، بالأحرى، بجوهر رسالة العذراء، وبما جاءت أمّ اللّه من أجله.

«ماري كلير موكانغانغو»

(Marie-Claire MUKANGANGO)

يوم ١٩٨٢/٤/٢ عقدت الحوار التالي مع السيّدة العذراء:

– العذراء: «**توبي! توبي! توبي!**».

– ماري كلير: «إنّي أفعل ذلك».

– العذراء: «**عندما أقول لك ذلك، لست أتوجّه إليك وحدك، بل، أيضًا، إلى جميع الآخرين. إنّ بشر هذا الزمن قد أفرغوا كلّ شيءٍ من محتواه الحقّ: فمن يقترف خطيئةً، لا يقرّ بأنّه أخطأ**».

– ماري كلير: «نحن ضعفاء، فاقدو القدرة. هبينا القدرة على الاعتراف بأخطائنا، وعلى الاستغفار عنها».

الظهورات العلنيّة لماري كلير، لم تدُم سوى نحو ستّة

أشهرٍ، من ١٩٨٢/٣/٢ حتّى ١٩٨٢/٩/١٥. ولكنّ الرسالة التي تلقّتها كانت واضحةً: لقد تمرّد العالم على الله، وعلينا أن نتوب ونستغفر. إنّ نعمةَ التحوّل تُنال بتأمّل آلام المخلّص، وآلام أمّه. ولهذا الغرض نصحت العذراء بوسيلتَيْن: تلاوة الورديّة، ومسبحة الآلام السبعة، فهذه الأخيرة هي الدواء الأنجع للشفاء من مرض العصر، أي نفي الاعتراف بالخطيئة، ورفض التوبة، وهي الوسيلة المثلى لردع إبليس.

مسبحة الآلام السبعة، ليست جديدةً في الكنيسة، بل كانت تتلوها جمعيّاتٌ رهبانيّةٌ، ولكنّها أُهملت. وبات كثيرون، حتّى بين الكهنة والراهبات، يجهلون وجودها. وماري كلير نفسها قالت للعذراء إنّها تجهل حتّى وجود هذه المسبحة، ومع ذلك كلّفتها أمّ الله أن تذيع معرفتها واستخدامها من حولها، وفي العالم أجمع، على ألاّ تحلّ محلّ المسبحة الورديّة، بل أن تواكبها.

وقد قُيّض لماري كلير، في أثناء الظهورات، أن تشهد مراحلَ آلام يسوع، وكانت تصفها وهي تطلق تأوّهاتٍ وجيعةً.

وأُعطيت، في مناسبةٍ أُخرى، أن ترى آلام العذراء السبعة، وأن تسمع تعليقها عليها:

الألم الأوّل: سمعان الشيخ يتنبّأ لمريم أنّ سيف ألمٍ سيخترق نفسها.

وعلّقت عليه العذراء قائلةً: «لم أتألّم كثيرًا لهذه النبوءة، موقنةً أنّ هذا الألم سيسهم في خلاص العالم».

الألم الثاني: الهرب إلى مصر. **«لقد آلمني التفكير بأنّهم يضطهدون ابني، في حين هو جاء كي يخلّصهم».**

الألم الثالث: اختفاء يسوع في الهيكل: **«لقد اعتراني الغمّ، وخشيت فقدان مَن كان لي كلّ شيء».**

الألم الرابع: العذراء تشهد ابنها حاملاً خشبةَ صليبه: **«تألّمت ألمًا شديدًا، وأنا أراه يحمل الصليب، مع أنّه لم يقترف ذنبًا. ومع أنّني كنت قد أُنبئتُ بذلك سلفًا، لم أذكر، حينئذٍ، هذه النبوءة، من جرّاء حدّة ألمي».**

الألم الخامس: مريم عند أقدام الصليب: **«لا حدود لألمي، وأنا أراه يُسمّر على الصليب، مع أنّه لم يقترف**

خطأً. لقد آلمني ذلك ألمًا مريعًا. ولم يخطر، حينئذٍ، ببالي أنّه سيقوم».

الألم السادس: مريم تتلقّى جثّة ابنها هامدةً: «**تألّمتُ كثيرًا، وأنا أفكّر بأنّني أحمل بين يديّ جسده فاقدًا الحياة، الجسد الذي سبق لي أن هدهدتُه على صدري، والذي كان موضع حناني**».

الألم السابع: مريم عند قبر يسوع: لم تعلّق العذراء، وفسّرت ماري كلير صمت أمّ الله بانهيارها أمام القبر، وإصابتها بما يشبه الإغماء. لقد سحقها الألم، فلم تستطع التفوّه بكلمةٍ واحدةٍ.

لقد كُلّفت ماري كلير بنشر رسالة التأمّل في آلام يسوع، وآلام أمّه الرهيبة. ولمّا حانت ساعة وداعها للأمّ المتألّمة، بكت بكاءً مرًّا، وقالت لها: «ظلّي إلى جانبي، وأنا سأدعوك دائمًا. إنّ ما أظهرته لي، وما كلّفتني بتحقيقه، ساعديني عليه، لأنّي لستُ أقوى على فعله بمفردي... وإنّي أتقبّل كلّ شيءٍ».

وفي الواقع ما تقبّلته ماري كلير، يناقض كلّ ما كانت تهواه، فقد كانت متدفّقة النشاط، كلِفةً بالبهجة والرقص واللهو، وكُلّفت بتأمّل آلام الربّ، وبتعزيته وتعزية أمّه.

وكانت العذراء قد ظهرت، يوم ١٩٨٢/٨/١٥ لكلٍّ من ألفونسين، وأناتالي، وماري كلير، وفي ظهورها لهذه الأخيرة شدّدت على واجب تعميمها مسبحة الآلام السبعة في رواندا وفي العالم، واعدةً بمؤازرتها على ذلك، لأنّ نعمتها كلّيّة القدرة. وهتفت ماري كلير:

«أهبُكِ ذاتي يا أمّاه، فلديك لكلّ شيءٍ معنًى.

«افعلي بي ما تشائين، ولكن ارحمي هذا العالم (كرّرت هذا الدعاء ثلاثًا).

«افعلي بي ما تشائين، ولكن فليظفر هذا العالم بالخلاص،

«افعلي بي ما تشائين، ولكن فلينعم هذا العالم بالسلام،

«افعلي بي ما تشائين، ولكن ارحمي من لا يعرفونك، وهبيهم أن يعرفوك

«افعلي بي ما تشائين، ولكن اغفري لمن يقولون سوءًا في ابنك، واجعلي الجميع يخدمونه».

في أثناء هذا الظهور، رأت ماري كلير نفسها وسط حقل أشواكٍ، سقطت فيه سبع مرّاتٍ، ثمّ صاحت بصوتٍ جهوريٍّ: «إنّي أصلّي من أجل جميع الذين لا يؤمنون. أصلّي من أجل جميع الذين لا يصدّقون أنّك عدت إلى هذه الأرض لتجديدها. اذكري أنّ ابنك وافى إلى هذا العالم بغيةَ افتدائه، ولكنّ العالم لم يتعرّفه، لا بل نبَذه».

وعلّمتها العذراء أن تستهلّ تلاوة مسبحة الآلام السبعة بالقول:

«يا إلهي، إنّي أقدّم لك مسبحة الآلام هذه، من أجل مجدك الأعظم، وتكريمًا لأمّك القدّيسة. سأتأمّل في آلامك، وسأقتسمها. أتوسّل إليك، بحقّ الدموع التي ذرّفتها في تلك اللحظة، أن تهبني، وتهب جميع الخطأة الندم على خطايانا».

ثمّ طلبت منها العذراء أن ترتّل: «**أيّتها الأمّ، كلّيّة**

الرحمة، ذكّرينا، كلّ يوم، بآلام يسوع». حينئذٍ ذرّفت ماري كلير دموعًا حرّى، لأنّ كثيرين يرفضون الاعتراف بآلام يسوع وأمّه.

طريقة تلاوة مسبحة الآلام السبعة

– تلاوة فعل الندامة.

– ذكر أحد آلام العذراء، وفقًا للترتيب الآنف الذكر.

– مرّة «أبانا»، وسبع مراتٍ «السلام عليك يا ممتلئةً نعمةً»

– عوضًا عن «المجد»، تلاوة «أيّتها الأمّ المليئة رحمةً، فلتكن آلام يسوع ماثلةً دائمًا في قلبنا».

– الاستعانة على تأمّل آلام يسوع وأمّه بنصوصٍ متعلّقةٍ بها، من الإنجيل، أو بنصوصٍ من الكتاب المقدّس.

– بعد الألم السابع يُتلى ثلاث مرّاتٍ «السلام عليكِ» وثلاث مرّاتٍ «أبانا».

«ستيفاني موكامورينزي»
(S. MUKAMURENZI)

هي صغرى الرائيات. عند الظهورات كانت في الرابعة عشرة، تتابع دروسها الابتدائية، وتطمع في الدراسة الثانويّة.

تتّصف برباطة الجأش. فعندما تعيّن عليها مباركة الشعب فعلت ذلك بلا تردّدٍ، وبفرحٍ. وهي تدعو إلى مخاطبة العذراء مباشرةً لأنّها تصغي لصلواتنا، ولكنّنا، نحن، نفتقر، غالبًا، إلى الإيمان والثقة. وهي تدعو إلى العمل، بمزيدٍ من الغيرة، على إحلال ملكوت اللّه، وتؤكّد أنّ السماء هي مصير مَن يستحقّونها.

الظهور الأوّل لها، تمّ داخل الكنيسة، يوم ١٩٨٢/٥/٢٥، والأخير في ١٩٨٢/١٠/١٥. خلال هذه الأشهر الخمسة حدث لها خمسة عشر ظهورًا.

في ما يلي الحوار الذي انعقد بينها وبين العذراء، في ١٩٨٢/٨/٢٨ حيث تتجلّى سذاجتها الطفوليّة:

أرتها السيّدة العذراء شجرةً تلتهمها النيران:

ستيفاني: أيّتها العذراء مريم، أنا طفلةٌ، فاعفيني من هذا المشهد المريع. لا أستطيع الاقتراب منه، ولا أقوى على مشاهدة هذه الشجرة وهي تحترق. ارأفي بي، يا أمّاه (كرّرت هذه العبارة الأخيرة ثلاثًا).

العذراء: **أنا آتي إليكم، وأنتم تحملون كلّ شيءٍ محمل العبث والتهكّم. كرّري هذا القول ثلاثًا.**

ستيفاني: (تكرّر ثلاثًا): أنت تأتين إلى البشر، وهم يَعدّون مجيئك عبثًا. كيف لا يغيّرون سلوكهم، ولا يأخذون رسائلك على محمل الجدّ؟ ألا يعرفون أنّك أمّ اللّه؟ نحن البشر عسِرون، وبطيئو الفهم. ما عسانا نفعل يا أمّاه؟

العذراء: **ينبغي أن تتغيّروا بتكريمي وتكريم ابني. وعليك أن تضحّي بذاتك من أجل البشر.**

ستيفاني: لا أستطيع... نحن ضعفاء. ولكن، بما أنّك أمّ اللّه، هبي العالم السلام، فوضع العالم سيّئٌ، والناس سيّئون. (تذرف دموعًا حرّى، وهي تقول): لم أكن أدري أنّك تأتين إلى البشر، وهم لاهون، ساخرون... العطش يلتهمني... لم أكن أعرف أنّ الأمّ تمعن في إيلام ابنتها بهذا القدر (تطلب ماءً)

– العذراء: **هيّي، اشربي.**

– ستيفاني: لم أروِ عطشي. هذا الماء لم ينقع ظمئي... إنّي أغسل وجهي ثلاث مرّات، وأغسل يديّ سبع مرّات، إكرامًا لمريم العذراء، سيّدة الآلام السبعة. ثمّ أشرب ماءً ثانيةً. نحن عطاشٌ إلى اللّه وإليك. تعالي وأروي عطشي... الآن ارتوى عطشي. يا أمّاه، ما الذي يحزنك؟ ألم أقل لكِ إنّ البشر عنيفون، وإنّ العالم عنيفٌ؟ هكذا هم البشر. ألا يسعك أن تصبري؟ إنّ اللّه يحبّنا حبًّا جمًّا، وهو يسارع إلى معاقبتنا.

– العذراء: **اللّه يحبّنا، حقًّا.**

– ستيفاني: ما معنى هذه الشجرة المحترقة التي لا تكفّين تُريني إيّاها؟

– العذراء: **إنّها إبليس الساعي إلى هلاككم.**

– ستيفاني: وكيف نقوى على قهره؟

– العذراء: **عليكم رفض كلّ الوسائل التي يستخدمها من أجل إغوائكم.**

– ستيفاني: اطرديه من وسط البشر لكي لا يسبّب هلاكنا. أنا لا أتهيّب إنذار قائلي السوء، ولو كانوا شخصيّاتٍ مرموقةً: «سترون العواقب، إن لم تغيّروا سلوككم».

(تنشد: «يا مليكة السماء والأرض...»، وتهوي أرضًا. ثمّ تنهض، وتكرّر، سبع مرّاتٍ. قول: «أنتِ عشتِ على الأرض، فانظري إلى حالي الآن، يا أمّاه!»).

«يا أمّاه، انظري يديّ، وابسطي عليها يديك» (تُري العذراء يديها).

«انظري المشاعر التي يختلج بها قلبي، وضعي فيها عواطفك»: (تشير إلى قلبها).

«ما العمل مع الذين يدّعون: «مريم العذراء امرأةٌ مثل سائر النساء. وقد أنجبت، بعد يسوع، اثني عشر ابنًا؟»».

– العذراء: **هذه تخرُّصاتٌ، قصدُها التضليل.**

– ستيفاني: هذا ما أقوله، أنا أيضًا. أيّة رسالةٍ تحمّلينني؟

– العذراء: قولي للبشر: «**إنّ ابن اللّه يرينا ما نفعله من خيرٍ، فنفرح، ولكن إن هو أرانا ما ارتكبناه من خطإٍ، نهرب منه**».

– ستيفاني: هل سأجرؤ على قول ذلك؟

– العذراء: **أجل، ستكون لديك جرأة قوله.**

– ستيفاني: أمّاه، علامَ تريدين أن أتألّم؟

– العذراء: **كي تكفّري عن خطايا البشر.**

– ستيفاني: لن أستطيع أبدًا التكفير عن خطايا البشر

أجمعين. وهم لن يتوبوا من تلقاء ذواتهم... إنّهم يقضون وقتهم في شتم أمّ اللّه. وأنت تعلمين مدى شرّ إبليس.

– العذراء: **أعطي البركة.**

– ستيفاني: أنا متعبةٌ الآن. فهل أستطيع بمفردي أن أُعطي البركة، ما لم تساعديني؟ (تصلّي ثلاثًا): «يا قلب مريم الطاهر، صلِّ لأجلنا نحن اللاجئين إليكِ».

– العذراء: **اسقي الزهور.**

– ستيفاني: لمَ لا تسقينها أنت، فأنا لم يبقَ لديّ حوْلٌ؟

– العذراء: **سنسقيها معًا...**

– ستيفاني: لنعدْ إلى ما يخصّني. قولي لي علامَ تجعلينني أتألّم؟

– العذراء: **سبق أن قلت لكِ إنّ عليك أن تتألّمي، كي تكفّري عن خطايا البشر.**

– ستيفاني: قوّينا، واحمينا، واشملي بوقايتك جميع البشر، في كلّ حينٍ. هبي الأرض السّلام. علّميني صلاةً قصيرةً.

– العذراء: «**أنا ليسوع، أنا لمريم، أنا ابنتها**».

– ستيفاني: أريد أن أنقل إليكِ الرسائل التي طَلب منّي بعضهم تبليغك إيّاها. (رفضت العذراء، فقالت لها الفتاة): أنت ترفضين دائمًا الإصغاء إلى هذه الرسائل. فبمَ عساني أجيب أولئك الذين كلّفوني؟

– العذراء: **قولي لهم أن يخاطبوني مباشرةً، وسأصغي إليهم**.

– ستيفاني، (تركع وتقول): «السلام عليك، يا مريم، يا أمّ اللّه. اذكريني في يوم موتي» (وعندما تبيّنت أنّ العذراء قد مضت، هوت أرضًا).

* * *

يمكن اختزال رسالة ستيفاني بالدعوة إلى التوبة، والارتداد، والتواضع، والجاهزيّة. أمام اللّه، نحن لسنا شيئًا. فلنصلِّ صلاةً حقيقيّةً، نابعةً من القلب.

على غرار سائر الرؤاة، كان عليها احتمال سخريّة

الآخرين، والاتّهام بالكذب، والخداع والجنون. وقد طمأنتها العذراء قائلةً: «**طوبى لمجانين اللّه، فهم يقولون كلام اللّه**».

قبل الظهورات، كانت ستيفاني فاترة التقوى، وغير ملتزمةٍ بالصلاة. بعد الظهورات صارت تجهد في تنفيذ مطالب العذراء: الصلاة، والتوبة، وإطاعة والديها. وغدت تتلو المسبحة الورديّة، يوميًّا، وفي أيّام الصوم الكبير تتلو ورديّتين، وتقدّم للّه تضحياتٍ جسديّةً. وفي المدرسة تسعى إلى بثّ روح الصلاة بين أترابها.

«ڤيستين ساليما»

(Vestine SALIMA)

فتاةٌ قرويّةٌ لم تتلقَّ سوى التعليم الابتدائي. وهذا يثبت أنّ أقوالها التي تدهش، غالبًا، تأتيها من العلاء. بعد الصفّ السادس الابتدائيّ هجرت الدراسة، وعملت مع ذويها في الزراعة. وهي تؤكّد للجميع أنّها قرويّةٌ شبه أُمّـيّةٍ، وللّذين يرونها حسنة الهندام تؤكّد أنّها، في قريتها، تلبس أمتعةً خلقةً مثل عامّة القرويّين.

أمّا عن معلوماتها وممارساتها الدينيّة، فهي تقول:

«بما أنّ والديّ ليسا كاثوليكيّين، لم أكن أعرف العذراء. وعندما كنت أشهد صورها كنت أقول، في نفسي: «هذه الفتاة جميلةٌ، وأتمنّى أن أشاهدها». وهي التي ظهرت لي،

وقالت لي إنّها العذراء مريم، أمّ اللّه... يزعجني أن يكرّمني الناس، بسبب الظهورات التي حدثت لي. والحريّ بهم أن يهتمّوا بي، لأنّني ابنة للّه، مثل أيّ إنسانٍ آخر، لا يأتي أحدٌ على ذكره. إن حدثت لي ظهوراتٌ، فلكي أكون أداة اللّه، وليس، في ذلك، أيُّ مجدٍ أو استحقاقٍ.

«في البدء، ناصبني أهلي العداء، واتّهموني بالجنون، واضطهدوني... وبعد فترةٍ قصيرةٍ، أنارهم اللّه، فهدأ روعهم. إنّ اللّه يعمل كما يشاء، حينما يشاء، ومع مَن يشاء. ولمّا عرف ذويّ مَن هو اللّه، وعرفوا مريم العذراء، شرعوا يشجّعوني، ويساعدوني، وتعلّموا صلاة المسبحة، فغدونا نتلوها معًا.

«الفقير، أنا معه، والغنيّ، أنا معه أيضًا. مَن يحترمني أحترمه، ومن يزدريني أشفق عليه... أنا مثل جميع الآخرين...».

انتُخبَت ڤيستين مسؤولةً عن الجماعة المسيحيّة في قريتها.

ويوم اجتماع الجماعة الأولى، سألت الحضور: «ماذا تريدون أن أقول لكم؟» فأجابوا: «خذي كتابًا، واشرحي لنا، قولي لنا ما يُقال في الكنيسة». وتضيف ڤيستين: «نهضتُ، حينئذٍ، تحدوني قوّةٌ مجهولةٌ، وعلّمتُ كلمة الله، بلا كتابٍ، وبلا شيءٍ. النساء كنّ يبكين، والتأثّر أخذ بالشيوخ، وكان الجميع يتساءلون. أمّا أنا فكان يساورني شعورٌ بأنّني لم أعُد معهم. ولكنّني كنت أسمع قولهم: «إنّ ما تقوله هذه الفتاة ليس منها، بل الله هو الذي يتكلّم من خلالها». وكان يسوع قد أنبأني بذلك عندما ظهر لي للمرّة الأولى، فقال إنّني سأجول وأعلّم، في كلّ مكانٍ، فتفرح النساء، ويبكي الشيوخ، وسيتبعني الجميع، حتّى الأولاد، في كلّ مكانٍ، هاتفين: «هوذا شخصٌ يحسن التعليم، حقًّا». ولذلك لم أُدهش. وقد طلبت منّي النسوة أن أُخصّص لهنّ يومًا، كي أتحدّث إليهنّ. وحُدّد يوم الجمعة من كلّ أسبوعٍ، في الساعة السادسة صباحًا. وفي كلّ موعدٍ يمتلئ المكان بالراغبات في سماع كلام الله.

وإليكم نماذج من أقوال ڤيستين:

«تسألكم العذراء لماذا تنصرفون عن اللّه، وترتمون في أحضان النار؟ وهي تنذركم: من يمدّ ذراعيه إلى هذا العالم للقبض عليه، ستنزل النار على يديه. وهي تسألكم لماذا تبذلون القليل من الغيرة والاندفاع في خدمة اللّه، في حين أنّكم، عندما تخدمون إبليس، تركّزون كلّ قواكم، وتبحثون عن كلّ الوسائل والحيَل، من أجل الوصول إلى غاياتكم؟

«... الإنسان الصالح على هذه الأرض هو الذي ينفّذ مشيئة اللّه.

«العذراء تحذّر الأغنياء، وتطمئن الفقراء،

«إنّها تطلب منكم أن يُعنى بعضكم ببعضٍ، سواءٌ كانوا فقراء أو أغنياء، أشرارًا أو صالحين، فيسوعَ كان يعيش مع الجميع، كما أنّ اللّه صبورٌ معكم. وتقول لكم إنّ عليكم أن تخدموا اللّه، في كلّ لحظةٍ، وألاّ تكتفوا بذكره عندما تلمّ بكم المِحَن الكبرى.

وهي تحذّركم من وضع ثقتكم في علمكم ومالكم، فكلّ ما تملكونه يأتيكم من كرم اللّٰه.

وتعلمكم أنّ امتلاك الذكاء والعلم والجمال، بمعزلٍ عن مخافة اللّٰه، لا يُجدي نفعًا.

وإنّها تمدّ لكم ذراعيها، فمن يأتي إليها ترحّب به، وتضمّه إلى قلبها.

وتطلب منكم حمل صلبانكم برضىً، حبًّا باللّٰه.

وتعلمكم أنّ يسوع ما زال حتّى الآن يبحث، بلا هوادةٍ، عن مكانٍ يقيم فيه، وأنّ كلّ مَن يصبو، بكلّ قواه، إلى اللّٰه، في هذا العالم، يعاني، في جسده، الوهن والعطوبيّة.

«وهي تقول لكم إنّ خدمة اللّٰه لا تتمّ بالإكراه، بل هي مبادرة حسن نيّةٍ ذاتيّةٌ.

وإنّ هناك أنوارًا كثيرةً، ولكنّ النور الحقّ فريدٌ. أنتم تصطنعون لأنفسكم أنوارًا، ولكن ما من نورٍ يضيء أكثر من النور الذي يعطيه اللّٰه.

وتقول إنّ للصلبان أنماطًا عديدةً. وكلّ إنسانٍ، ولو بدا ضاحكًا، يحمل صليبًا، وحتّى عندما يتجاهله، يظلّ الصليب ماثلاً.

«ابن اللّه الحقّ هو مَن يسير في البرّ والعدل والحقّ.

اعلموا أنّ اللّه يدعوكم كلّ يومٍ.

تذكّركم العذراء بأنّ حقيقة المسيحيّ وسلاحه هما الإيمان.

وهي تؤكّد لكم أنّ العقيدة الحقّة هي يسوع. ومَن يؤمن به، يقبله، في حياته، كما هو، ولا يحذف منه شيئًا.

إنّ الصلبان التي تأتينا من السماء أخفّ وطأةً من صلبان الأرض. والصلبان التي يرسلها لكم اللّه تهبكم من الفرح أكثر من تلك التي تنشدونها بأنفسكم.

ابن اللّه تألّم على هذه الأرض، وأنتم تريدون تفادي الألم. فأنّى لكم أن تكونوا له تلاميذ؟

تطلب منكم العذراء الإقلاع عن التعلّق بما يشيع فيكم الاضطراب، ويحرمكم السلام، كي تسعوا، بكلّ طاقاتكم، نحو شجرة الحياة.

لا تنسوا أنّ كلّ ما تفعلونه مدوّنٌ. إنّ الدين الحقّ هو الذي يجعل المرء يحيا بالإيمان، ويحمله على محبّة إخوته.

تسألكم العذراء لماذا تحبّون الخيرات التي يغدقها اللّه عليكم، ولا تطيقون المِحَن التي تقودكم إلى لقياه؟ بأيّ أسلوبٍ، إذن، تزعمون الوصول إليه؟ وهي تقول لكم إنّ المعاقين يجدون إلى الفرح سبيلاً، إذ إنّهم لا يكفّون عن تمجيد اللّه، في حين هم عاجزون عن السير. وأنتم، يا مَن ينعمون بسيقانٍ سليمةٍ، بمَ عساكم تجيبون الخالق، عندما سيسألكم هل ذهبتم إلى الآخرين، كي تخدموهم؟

تؤكّد لكم العذراء أنّ مَن يذهبون إلى السماء هم الذين جهدوا للظّفر بها، وأنّ على الأفعال أن تواكب الصلوات.

وهي تطلب منكم ألاّ تعملوا من أجل هذه الأرض،

فهي ليست لكم، ولن تخلدوا فيها. فما أنتم سوى ضيوفٍ وعابري سبيلٍ.

إنّها تضيء دروبكم لتمكينكم من السير في النور. ولكنّكم لا تتحرّكون. وعندما تتكشّف الظلمات، تجرون كي تظفروا بالمكان الأوّل.

وتذكّركم بأنّ اللّه منحكم عيونًا كي تُطلعوا مَن لم يستطيعوا الرؤية على ما شاهدتم.

إنّها ترغب في أن يكون الشبّان والشابّات، لها، مثل أزاهير جميلةٍ على هذه الأرض.

وهي تطلب منكم أن تُعدّوا حقائبكم، فالطريق المتبقّي أمامكم قصيرٌ، وعندما سيدعوكم اللّه، لن تتاح لكم فرصة العودة إلى الوراء، لاصطحاب أيّ شيءٍ.

تسألكم العذراء لماذا تطالبون بمعجزاتٍ، في حين أنّ المعجزات تحدث لكم، في كلّ يومٍ، ولكنّكم لا تؤمنون بها. خيرٌ لكم، إذن، أن تلتمسوا نعمة البصر، لأنّكم عميانٌ.

وهي تسألكم: علامَ تصمّون آذانكم عندما هي تكلّمكم، مع أنّكم لا تكفّون تلاحقونها بشكاواكم.

وتقول العذراء: تعلّموا تفسير العلامات حيث تظهر. هذه العلامات تعطى لكم، كلّ يومٍ.

وهي تطلب منكم ألاّ تقلقوا بلا داعٍ. فالسائر على دروب الله قد يلقى الفقر والبؤس، في حين أنّ من لا يبالي بالله قد ينعم باليُسر والبحبوحة المادّيّة. ولكن اعلموا أنّ ذلك سيُكافأ في السماء، وأنّ الذي ينال، في هذه الدنيا، مكافأته، سيخسر، يومًا، كلّ شيءٍ.

وهي تقول لكم: اعترفوا بأنّكم كاذبون، وبأنّ الله، وحده، هو الحقيقة.

إنّ كلّ إنسانٍ يحمل معه يومه الأخير، حيثما كان.

عليكم أن تُعنَوا بأنفسكم، وأن تبكوا على ذواتكم. ولا تبكوا على مَن أنهوا شوطهم.

تُعلمكم العذراء أنّها تأتي متى تشاء، وتظهر لمن تشاء، وتجعله يفعل ما تشاء.

وهي تدعوكم إلى التطلّع نحو السماء كلّما استيقظتم، كي تدركوا أنّ حياتكم وموتكم مدوّنان فيها. انظروا إلى الأرض، واعلموا أنّكم، عندما ستموتون ستتركون فيها كلّ شيءٍ، ولن يكون لكم، بعدُ، شيءٌ. أجيلوا النظر مِن حولكم، تجدوا أنّ لكلّ إنسانٍ ألَمًا. وليكن لكم ذلك عبرةً تحرّضكم على الحياة في اتّحادٍ مع اللّه، وفي سلامٍ مع البشر.

تقول العذراء إنّها ترحّب أرقّ ترحيبٍ بمَن عيونهم شاخصةٌ إلى ما تريهم، وبمَن يلوذون بها، في حين يهتمّ الآخرون بما لا يجديهم نفعًا. وهي تقول إنّ الطفل نفسه يحبّ أمّه. إذن ليس الحبّ علمًا.

وتسألكم: إن لم تلجأوا إلى اللّه، فأين عساكم تختبئون، عندما تنتشر النار في كلّ مكانٍ؟

اعلموا أنّ الكفاح الذي ستخوضونه على هذه الأرض، كلّ يومٍ، هو الذي سيحسم مصيركم: في السماء أو في الجحيم.

سيؤدّي كلّ إنسانٍ حسابًا عمّا أُوكِل إليه.

تدعو العذراء العلماء إلى استخدام ما وُضع بتصرّفهم. فليُظهروا، إذن، ما هم قادرون على فعله بمعزلٍ عن عون اللّٰه. أنعموا النظر، فلكم عيونٌ كي تبصروا، ولا تخلطوا بين أعمالكم وأعمال اللّٰه.

أنتم يا مَن يتباهون بثيابهم الفاخرة، اعلموا أنّ المطلوب منكم ليس انتزاع إعجاب البشر، بل إرضاء اللّٰه. حيثما ذهبتم، ومهما فعلتم، ورغم ثيابكم الجميلة، فأنتم، أمام اللّٰه، عراةٌ.

أولئك الذين لم يألفوا تعرّف العذراء من خلال الإشارات التي تريهم إيّاها، يظلّون في حيرةٍ، حتّى إنْ هي أرتهم نورًا فائقًا كي تنيرهم به.

إنّكم، جميعكم، على طريق سفرٍ واحدٍ. لذلك فليُساعد أحدكم الآخر، ولا تتركوا أحدًا في الطريق، لئلاّ يُقال لكم، يومًا: «ماذا أنت آتٍ لتفعل هنا وحدك؟

ولمَ تخلّيت عمّن كان عليك استصحابهم إلى هنا؟».

مَن يرتضون العمل، فليتابعوا العمل جيّدًا، بلا تردّدٍ. ولكن لا تتوقّعوا مكافآتٍ، فما زال أمامكم دربٌ ينبغي اجتيازه، وأنتم تجهلون كيف سينتهي مشواركم.

اجهدوا، إذن، بإتقان عمل ما يطلبه منكم اللّه، كلّ يومٍ.

أنت، يا مَن إيمانه خارجيّ، مثل ثوبٍ، عندما ستنفصل عن جسدك، ما الذي يقوى على خلاصك؟ عليك، بالحريّ، أن تحقّق إيمانك، في كلّ حياتك.

طوبى لمن يرتضي أن يكون أداةً لمريم العذراء، فهي ستكافئه في الأبديّة. كلّ المحن التي تقابله ستنتهي، يومًا، وستنقذه مريم من الفخاخ الكثيرة التي ينصبها له البشر».

لقد استمدّت ڤيستين أقوالها من ظهورات العذراء لها. وفي أثناء أحد الظهورات كانت تسير ببطءٍ وسط الجمهور، وأبصارها عالقةٌ بالرؤيا، ثمّ أفادت أنّ العذراء كانت تقول

لها: «**إنّ الطريق التي تفضي إلى السماء هي ضيّقةٌ وعبورها وعرٌ. أمّا الطريق المؤدّية إلى إبليس فهي عريضةٌ، ومَن يجتازها يحثّ الخطى، ويجرى بلا عائقٍ**».

وقد ألفت ڤيستين دعم أقوالها بأمثالٍ واقعيّةٍ، تتّسم بصبغةٍ إنجيليّةٍ واضحةٍ. أمّا الحقائق الرئيسيّة التي تمثّل جوهر رسالتها، فهي:

– التجرّد عن حطام الدنيا، ونشدان الخيرات التي أعدّها لنا الله.

– وَعْيُنا أنّنا لسنا سوى مسافرين على هذه الأرض.

– الاستعداد لعودة يسوع.

– استيعاب معنى العلامات، في حياتنا.

– التواضع والجاهزيّة، والصفح المتبادل.

– الصدق في الصلاة.

– تقبّل الصليب، كلّ يومٍ، بالاتّحاد مع يسوع، اقتفاءً لخطاه.

– الكفاح من أجل بلوغ السماء.

– غفران الخطايا، باللجوء إلى سرّ المصالحة.

وقد جاء في تقريرٍ وضعه فريقٌ كهنوتيٌّ، في مدينة «كيبينغو»:

أقامت ڤيستين في رعيّة «كيبينغو»، حيث تكلّمت على امتداد ثلاثين ساعةً تقريبًا، أمام جمهورٍ من بضع مئاتٍ، وتراوح عدد المستمعين إليها أحيانًا بين ألفين وثلاثة آلاف مستمع، ولم نلحظ، يومًا، في أقوالها، أيّ خطإٍ لاهوتيٍّ.

تعليمها لا يندرج وفق مخطّط محكمٍ، ولكنّها تتناول مواضيعَ محدّدةً أشارت إليها العذراء مريم. وإن هي نسيت موضوعًا، أو عدّة مواضيع، في سياق شرحها، فهي تعود إليها، عندما تجيب على أسئلةٍ. مجمل شروحها مشبعٌ بروح الإنجيل، وبكلام الله لا تعليم جديدًا، إذن، ولكن كلّ شيءٍ يُقال بطريقةٍ جديدةٍ، وبألفاظٍ طريفةٍ، بكلماتٍ وأمثالٍ تلائم زماننا. في أجوبتها كانت تنفذ مباشرةً إلى صميم الموضوع، وتجيب بلا تردّدٍ. أحيانًا كانت تصحّح الأسئلة

المطروحة أو تكملها وتوضحها، ولكأنّها تخمّن نوايا السائل.

أسلوبها حافلٌ بالصور والأمثال المقنعة، ويشوبها المرح أحيانًا. وتتّسم بعض أجوبتها بإلهام الأنبياء.

يسودها، في أثناء شرحها وإجاباتها، سكونٌ مذهلٌ. فلا تضطرب حيال أسئلةٍ محرجةٍ من شأنها إرباك لاهوتيٍّ متمكّنٍ أو واعظٍ مفوّهٍ. وهي قادرةٌ على احتمال وقفةٍ تدوم ثلاث ساعاتٍ أو أكثر، بلا توقّفٍ، ولا يبدو عليها أثرٌ لتعبٍ.

وينتاب المستمع إليها، وهي تدلي برسالتها، انطباعٌ بأنّ قوّةً عليا تحدوها وتلهمها.

وإن كان الحكم على الشجرة يتمّ من خلال ثمارها، فقد لوحظ في الرعايا التي تبلّغت رسالتها، تجدّدٌ روحيٌّ واضحٌ وهامٌّ، خاصّةً في ما يتّصل بالصلاة، وبممارسة الأسرار، وبالتحوّل الروحيّ.

هذا، وقد أَلِفت فيستين حمل عصًا صغيرةً، كلّما سارت، تلبيةً لطلب العذراء، مع أنّ هذا الأمر كان يزعجها، ويبدو مستهجنًا، وقد فسَّرت هي ذلك بقولها:

«هذه العصا هي خشبةٌ عاديّةٌ. لا تتوهّموا. فهي ليست عصًا سحريّةً تتيح لي الإجابة على كلّ سؤال. عندما طلبت منّي العذراء حملها، أَجبتها أنّني لست عجوزًا ولا عاجزةً كي أُضطَرَّ إلى حملها. فأَفهمتني أنّ هذه العصا هي لي صليبٌ. فحيثما مررتُ سيُشار إليّ بالبنان، ويسمّونني «فتاة العصا». وإلى ذلك قد كُلّفتُ بالإرشاد والرعاية، والراعي يمسك عصًا. وقد قالت لي العذراء إنّها اختارتني كي أكون راعيةً أعلّم وأُفسّر. وإنّما تقوم عصاي بمثابة هويّةٍ لي».

«إيمّانويل سيغاتآشيا»

(E. SEGATAASHYA)

في صباه، كان سيغاتآشيا شقيًّا، فوضويًّا، كلِفًا بالحرّيّة. كان والده قد أرسله إلى المدرسة، ولكنّه، عوضًا عنها، كان يؤثر اللهو في الغابة، مترقّبًا نهاية الدرس، وخروج التلاميذ، كي يندسّ وسطهم، ويوهم ذويه أنّه عائدٌ، حقًّا، من المدرسة. وذات يومٍ أطلع رفاقُه ذويه على الحقيقة. فرافقه والده بنفسه، في اليوم التالي، ولكنّ الفتى، خشيةَ العقاب، لاذ بالفرار، قبل وصوله إلى باب المدرسة.

وفرّ مع صديقٍ له إلى مدينة «بوتاري»، حيث كلّفهما مزارعٌ برعاية قطيعه. وما عتّم أن أخذ به الشوق إلى المنزل الوالديّ. واستهدى أبوه إلى مكانه، فخفّ لاستعادته، عساه يساعده في بعض مهامّ المنزل. ولم تدم إقامته في البيت

طويلاً. فقد كان ذووه يسكنون على مقربةٍ من النهر الذي يفصل رواندا عن بوروندي. فراح يجوس حول ذلك النهر، وفي موسم الفيض كان يتبرّع بنقل المسافرين من ضفّةٍ إلى أخرى. وخشي عليه والده تعرّضه للمخاطر، فأكرهه على العودة. وما إن أمضى أسبوعًا بين أهله حتّى أغواه رفاقٌ له بالسفر إلى بوروندي سعيًا وراء الرزق. ولكنّه لم يمكث في بوروندي أكثر من أسبوعٍ، إذ سرعان ما شدّه الشوق، ثانيةً، إلى المنزل الوالديّ، وكانت عودته، في هذه النوبة، حاسمةً، إذ إنّه استقرّ، وأصبح مطيعًا لوالديه، ودمثًا مع الجميع. ولكنّه كان قد تخطّى سنّ دخول المدرسة الابتدائية.

كانت قريته على مسافة مسيرة ساعتين من كيبيهو، ولم يكن على علمٍ بما كان يجري هناك، ولا هو كان يرتاد مدارس الرعيّة وكنائسها. وقد روى الظهور الأوّل الذي حدث له، بتاريخ ١٩٨٢/٧/٢، على النحو التالي:

«كنت أسير على مقربةٍ من الطريق الآتي من كيبيهو، في المحلّة المدعوّة «مدهورا»، قادمًا لتفقّد حقل فاصولياء، أهتمّ

بزراعته. وجلست في الظلّ كي أنال قسطًا من الراحة. فسمعت صوتًا يدعوني: «أيّها الولد، إن أنتَ كُلّفتَ بمهمّةٍ، فهل ستنفّذها؟» وأجبت، في قلبي، بلا تردّدٍ، أنّني سأنفّذها. وفي الحال أوكل إليّ يسوع الرسالة التالية: «قل لهم: طهّروا قلوبكم، فالوقت وشيكٌ». ثمّ أراني، في باحةٍ مسيَّجةٍ، قومًا عليّ أن أبلّغهم الرسالة. فاستوضحته عن اسم مَن يرسلني، وعن المكان الذي هو قادمٌ منه. فقد كنت أسمع صوته، ولكنّني أتلفّت في كلّ اتّجاهٍ، ولا أرى أحدًا يمكنه أن يكلّمني. ومع ذلك قال: «إن قلت لك اسمي، لما صدّقك الناس». فسألته، حينئذٍ: «ما الذي سيثبتُ، إذن، أنّ ما أبلّغهم إيّاه هو الحقيقة؟ فأنا روانديٌّ، وهم، أيضًا، روانديّون. وسيقولون لي: مَن هو الذي يرسلك؟ فأيّ اسمٍ سأذكر لهم؟». حينئذٍ، فقط، ردّ على أسئلتي قائلاً: «اسمي يسوع». وأضاف: «قم واحمل رسالتي إليهم». فشكرته، ونهضت، وانطلقت.

«ولمّا انتهيت إلى ملكيّة «روبير نغينزي»، شاهدت خلقًا كثيرًا، وخاصّةً نساءً وشبّانًا يجفّفون الفاصولياء. ومن حيث

لم أدرِ، وجدتُ نفسي عاريًا، فخجلت. اعترى بعض الناس خوفٌ فهربوا، وأغرق آخرون بالضحك. وقالت لي امرأةٌ: «يا ولد، لمَ تعلن كلام الله، وأنت عارٍ! ومن يطيق، بعدُ، أن يسمعك؟» حينئذٍ سمعت صوتًا يقول لي: «قل لهم إنّ ابن الإنسان جاء إلى هذا العالم، فجرّدوه من ثيابه. إنّ ما يحدث لك هو تذكيرٌ بي، تذكيرٌ لن يتكرّر، ولن يُنسى أبدًا». ثمّ قال لي: «افتح عينيك كي أريك ذاتي. ستواصل تبليغ رسالتي، وإن أنت أحسنت الاضطلاع بمهمّتك، فسنلتقي ثانية»..

«وحينئذٍ، رأيت وجهه. كان أسود اللون، ولكنّه كان يتألّق نورًا. وكان يرتدي زيًّا روانديًّا. وتحدّثنا. وعندما توارى، رأيت والدي وإخوتي قادمين إلى حيث كنت، ولست أدري مَن الذي اقتادهم إلى ذلك المكان. عدت معهم، وهم يسخرون منّي متّهمين إيّاي بالجنون. وجعلوني أُمضي الليلة في بيت عمّي.

«بعد يومين، أي يوم الأحد الواقع في الرابع من تمّوز،

عاد يسوع، وحدّثني، قائلاً إنّه يكلّفني بحمل رسالةٍ إلى البشر، الذين سيقولون إنّ هذه الرسالة هي غير اعتياديّةٍ، مع أنّه لا يسوغ أن يطلب المرء من الآخرين أمورًا فائقةً، في حين هم عاجزون عن تحقيق الأمور العاديّة».

بين رؤاة كيبيهو، وضْعُ سيغاتآشيا هو الأشدّ تعقيدًا، لأسبابٍ عديدةٍ. ولا سيّما بسبب ماضيه: فهو كان وثنيًّا، بعيدًا عن الأوساط المسيحيّة في منطقته.

ومنذ ١٩٨٢/٧/٢، تاريخ ظهور يسوع الأوّل له، انقلب سلوكه جذريًّا، ونال سرّي العماد والتثبيت.

ما حدث له في ٢ تمّوز ١٩٨٢ جعله يبدو في نظر ذويه، ثمّ في نظر الجماهير، مجنونًا، وأثار الشكوك في مجمل ظهورات كيبيهو التي غدت موضع تندُّرٍ وتهكُّمٍ. ولكن عندما سمعه الناس يتكلّم، في أثناء الظهورات اللاحقة، ذُهلوا بما كان كلامه يقطر حكمةً وحقيقةً. سلوكه اليوميّ كان اعتياديًّا، ولكنّ أقواله، في أثناء الظهورات، كانت تستقطب

الجماهير، وتدهشهم. وبعد أن كان القوم قد اتّهموه بالجنون، غدوا يتساءلون من أين كان يستمدّ أقواله تلك.

وكُلّف بتبليغ رسالةٍ إلى المكرَّسين، من كهنةٍ وراهباتٍ تذكّرهم بواجب الالتزام بالعهد الذي قطعوه للربّ، ولا سيّما، في ما يتعلّق بخدمة المحتاجين روحيًّا وماديًّا، وبعهد العفّة، وبواجب التقيّد بنصاعة السلوك، والتحاشي عن الرّياء، والازدواجيّة، وعن النميمة التي سمّاها «فجور اللسان».

ولطالما دعا، علنًا، إلى التوبة، والارتداد، وسرّ الغفران، وكان يجيب، بحكمةٍ وسدادٍ، على كلّ الأسئلة المطروحة عليه، بلا وجَلٍ، ولا تردّدٍ، ولا حرجٍ.

وذات يومٍ، عقب ظهور السيّدة العذراء له، طرح عليه عشرةٌ من الحاضرين أسئلةً كان يجهل بما ينبغي الردّ عليها. ولمّا فرغ الشخص العاشر من طرح سؤاله، أخذ ذلك الفتى الوثنيّ الأمّيّ يدلي بأجوبةٍ تطفح حكمةً وصوابًا، بلا ارتباكٍ

ولا تردّدٍ، بدءًا من السؤال الأوّل حتّى السؤال العاشر، مذهلاً الحضور.

في ١٩٨٢/١٢/٨، ولم يكن قد تابع دروسًا دينيّةً سوى فترة خمسة أشهر، تلا المسبحة الورديّة كاملةً، متأمّلاً الأسرار كلّها، بلا خطإٍ ولا تعثّرٍ.

وغالبًا ما كانت أقواله تصطبغ بنبرةٍ نبويّةٍ.

وطالما تكلّم عن الآخرة، مؤكّدًا ما علّمه إيّاه يسوع، أنّ كلّ إنسانٍ سيرى، حينئذٍ، بوضوحٍ، سجلّ أعماله على الأرض، وسيدين هو نفسه بنفسه. وعلى الذين يرون في موت أطفالٍ أو أبرياءَ ظلمًا، كان يذكّر أنّ الموت ليس نهايةً، بل هو انتقالٌ من منزلٍ ضنكٍ إلى مكان راحةٍ، تخيّم عليه سعادة القرب من الله.

لذلك كان يدعو إلى **اليقظة** وإلى **التوبة وسرّ الغفران**، وإلى الاعتراف بكلّ الخطايا قبل فوات الأوان، حيث لن تبقى ساعة مندمٍ، وإلى **التقيّد بكلام الله**، والحذر من أن تصرفنا عنه اهتمامات الأرض.

وكان يذكّر بأنّ السعي إلى جني الثروة إن هو إلاّ قبض ريح. فعندما نموت لا نترك جسدنا فحسب، بل كلّ ما نملك، مؤكّدًا أنّ الفقر الحقيقيّ هو الحرمان من النعمة التي تقود إلى اللّه، وأنّ الثروة الحقّة هي غنى القلب.

ولطالما حذّر من خلافات أبناء الدين الواحد، داعيًا إلى فهمٍ واحدٍ لكلام الأب الواحد. وعن **العذراء مريم** قال: «كيف يمكن أن تحبَّ إنسانًا وتزدري أمّه؟ كيف يسعكَ أن تحبّ يسوع وتعبده، وأنت تنأى عن أمّه؟ العذراء مريم هي أمّ العالم، أمّ الخلائق جمعاء، وأمّ جميع البشر. هكذا شاء اللّه...».

وكان يحرّض على الصلاة النابعة من القلب، صلاةٍ تعبّر عن عطشنا إلى اللّه. وللّذين يدّعون بلوغ السماء بواسطة الرشوة، كان يقول إنّ خير هديّةٍ بوسع الإنسان تقديمها للربّ هي صلاةٌ نابعةٌ من أعماق القلب. ويقول: «وليكفّ الناس عن التماس المعجزات، فليست المعجزات هي التي تقود إلى السماء».

وعن المسبحة كان يقول إنّها «قوّة المسيحيّ».

وكان سيغاتآشيا يصوم ويتألّم كلّ يوم جمعةٍ، فقد قال له الربّ:

«عليك أن تتألّم كثيرًا، كلّ يوم جمعةٍ، للمساهمة في خلاص العالم».

أنييس كاماغاجو

(Agnès KAMAGAJU)

في أثناء الظهورات التي حدثت لها كانت تظهر علاماتٌ في السماء، شاهدها آلاف الأشخاص الحاضرين.

في ظهور ١٩٨٢/١١/٦، في باحة المعهد، حيث كانت تحدث الظهورات للرائيات الأخريات، انتقد يسوع سلوك طائفةٍ من الشبّان والشابّات، المنافي للتعاليم المسيحيّة، فاستغفرت عن جميع مَن كانت تعرفهم. وأراها الربّ مكان إبليس، فأخذت تدفع بمسبحتها إلى الأمام، وكأنّها تطرد الشرّير، قائلةً: «ابعد، يا إبليس، ابعد عن أبناء يسوع، ابعد عن أبناء مريم».

في أثناء حديثها مع يسوع، كانت مشرقةً، تفيض فرحًا،

وتبتسم أحياناً كمن يناجي حبيبًا أو صديقًا. وبغتةً التفتت نحو الشمس المائلة إلى الغروب، وتطلّع الحاضرون في ذلك الاتّجاه، فشاهد كثيرون منهم قرص الشمس، في كلّ بهائه، ولكنّ رؤيته لم تكن مؤذيةً للنظر، ورأى بعضهم شمسًا أُخرى إلى يمين الشمس الأولى، واصطبغت السماء بحمرةٍ قانيةٍ.

وفيما كان الحضور مذهولين، قالت أنييس إنّ القوم يلهون بالمناظر العجيبة، ويذهلون عن كلام يسوع. وكان عليهم، بالحريّ، أن يذكروا أنّ مصير العالم هو بين يدي الربّ، فعليهم أن يفعلوا خيرًا، وينأوا عن الخطيئة التي تبعد عن اللّه.

ثمّ قالت: «لو كان الناس ينظرون بيقظةٍ لرأوا صليب يسوع إلى يمينهم». وقد شاهد كثيرون هذا الصليب، فركع بعضهم رهبةً، واضطرب بعضهم وبكوا. ثمّ أضافت أنييس، قائلةً: «إن أنعمَ الناس النظر لرأوا يسوع مكلّلاً بالشوك». وقد رآه بعضهم فعلاً.

وواصلت أنييس دعاءَها سائلةً ألاّ يحشرنا الربّ إلى يساره حيث يحشر الأشرار، ثمّ هتفت: «ارحمنا، يا ربّ».

وطلب منها الربّ مباركة أوعية الماء العديدة والمتنوّعة التي كانت معدّةً لاستقبال البركة. ثمّ طلب منها مباركة الجميع، فانحدرت من المنصّة، وعيناها ما برحتا شاخصتين إلى الرؤيا، ومع ذلك لم تخطئ درجةً أو خطوةً، ولم تتعثّر، وعندما فرغت من المباركة انهمر مطرٌ خفيفٌ، وسرت في السماء ثلاث نجومٍ، فأطفئت الأنوار، كي يشاهدها الحضور بوضوح. وقالت أنييس: «والآن تلقّوا بركة العذراء»، فانهمر، ثانيةً، مطرٌ ناعمٌ، فيما كانت أنييس تواصل الصلاة.

وإليكم نموذجًا من حوارٍ دار بين يسوع وأنييس، في أثناء ظهورٍ لها، بتاريخ ١٩٨٣/٥/٢:

يسوع: ألستِ مسرورة الآن، وقد جئنا لنزوركم؟

أنييس: الفرح يغمرنا. وقد شرع بعضنا يدرك. كثيرون انعتقوا من ضلالهم، واهتدوا إلى السراط القويم.

يسوع: ومع ذلك، ما زال هناك ضالّون.

أنييس: هؤلاء هبهم النور.

يسوع: وثمّة من ما برحوا غافين.

أنييس: هؤلاء أيقظهم.

يسوع: وثمّة من أصمّوا آذانهم.

أنييس: هؤلاء هبهم أن يسمعوا.

يسوع: وثمّة من قلوبهم من حجر.

أنييس: افتح القلوب المغلقة.

يسوع: هناك المراؤون في صلاتهم.

أنييس: هؤلاء اشفِهم من ريائهم.

يسوع: ثمّة من يدمّرون السلام على الأرض.

أنييس: لا ملاذ لنا من أعداء السلام سواك...

يسوع: اعلمي أنّ البشر ما زالوا غارقين في خطايا الفسق والفجور.

أنييس: كان يُخيّل إليّ أنّ مَن كانوا مبتلين بهذه الرذيلة قد اصطلحوا.

يسوع: قولي لهم، من قِبَلي، أن يصلحوا ذواتهم...

بين الحاضرين هنا، الآن، من لا يستأهلون حمل المسبحة، وبوسعي انتزاعها منهم. فالصلاة ليست عبثًا، ومع ذلك أنتم تجعلون منها تسليةً.

أنييس: بوسعك قول ذلك. فنحن غالبًا ما لا نأخذ الصلاة مأخذ الجدّ.

يسوع: اعلموا أنّ أمورًا كثيرةً تؤلمنا، ونحن غالبًا حزينون بسببكم. مَن يستطيعون يذكرون ألمنا في كلّ لحظةٍ.

أنييس: مَن يستطيعون يتعاطفون مع ألمكم. ولكن من لا يستطيعون زِدْهم قوّةً.

يسوع: يبلغ السماء مَن يجهد في هذا السبيل...

لا يزال هناك كثيرون لا يعرفوننا، ويهينوننا.

أنييس: كلّ هؤلاء، ساعدهم على التحوّل والعودة إليك.

يسوع: إنّ الطريق المؤدّي إليّ واحد. والذي ينهج

طريقين لا يسعى نحوي. من لا يثق بكلامي، لا تربطه بي أيّة صلة قربى.

أنييس: مؤكّدٌ أنّ مَن فقد الثقة في كلامك لم يعد عضوًا في أسرتك.

يسوع: قليلون هم الذين ينشدون خيرات السماء. ولكنّ الساعين إلى ثروة العالم كثُرٌ جدًّا. الباب الذي يفضي إلى السماء واحدٌ، والأبواب المفضية إلى الهاوية متعدّدة.

أنييس: هبنا ألاّ نعبر إلاّ من الباب الوحيد...

يسوع: لقد جئناكم، ولكنّكم لم تصغوا إلينا. قليلون هم البشر الذين يصغون إلينا.

أنييس: ... ساعد البشر كي يحبّوا، ويرجوا، ويتوبوا، ويضحّوا.

يسوع: من يظمأ إليّ، سأروي، في كلّ لحظةٍ، عطشه.
من يثق بي، لن يحتاج إلى شيءٍ.
من يجوع إليّ، سأشبعه.

من لا يفقد الثقة بي، في البؤس والاضطرابات، سأخلّصه.

من يطلب منّي، أيًّا كان، سأعطيه.

من يعترف بي على هذه الأرض، سأعترف به في السماء

ثمّة من يأتون إلى هنا، ولا رغبة لديهم في العودة إليّ.

أنييس: هب هؤلاء قلبًا راغبًا في العودة إليك...

هب المتألّمين كلّ ما يصبون إليه. اجعل العالم يتوب إليك. بدّد كلّ ما هو خداعٌ وكذبٌ على هذه الأرض. غيّر قلوب الأشرار، وازرع فيها الطيبة. ثبّت ثقة الذين وضعوا فيك رجاءهم. إنّي أقدّم لك جميع بشر الأرض...

في ١٩٨٣/٨/١٨، وجّهت أنييس نداءً إلى الشبيبة، بناءً على طلب يسوع، جاء فيه:

«إنّ سلوك شبيبة اليوم وأفكارها تتعارض مع ما ينتظره الله منّا. الشبّان والشابّات لا يقبلون جسدهم كما وهبهم الله إيّاه، ويسعون إلى تغييره، رغبةً في إرضاء الناس، واستلفات

نظرهم بكلّ الوسائل. لقد جعلوا من أجسادهم أداة متعةٍ. يسوع يطلب أن نقبل ذواتنا كما خلقنا اللّه.

«ينبغي أن نُجهِد ذواتنا، فالسماء هي لمن كافح. ولنحذر من غواية متاع هذه الدنيا. يسوع قال: «كُثرٌ هم الذين ينشدون خيرات هذا العالم، وقليلون هم الذين يسعون إلى الخلاص الآتي من السماء». ومع ذلك يسوع يرجو خيرًا، أقلّه من الشبيبة، وهو يفعل كلّ شيءٍ لكي يعيدنا إلى السراط القويم».

وتكلّمت أنييس عن العادات الوثنيّة، مثل الفسق والفجور التي تفصلنا عن اللّه. وأكّدت أنّ الآباء يتحمّلون قسطًا جسيمًا من المسؤوليّة، في هذا المضمار. ولكن على الشباب أن يكونوا أشدّ عزيمةً في مقاومة الخطيئة. الشبّان يستخدمون وسائل شتّى، وأساليب خرافيّةً، كي يُحِبّوا ويُحَبّوا، ناسين أنّ الحبّ الحقّ يأتي من اللّه.

«المال هو سبب كلّ ذلك. فقد سيطر علينا، ونحن بتنا له

خدّامًا. وعوضًا عن أن نكون في خدمة الله، أصبحنا للمال عبيدًا، وجعلنا منه صنمًا.

«علينا أن نجعل من جسدنا أداةً لتمجيد الله، لا مادّة متعةٍ في خدمة البشر.

«على الشباب أن يكونوا حكماء. ادعوا مريم العذراء، والتمسوا شفاعتها، وهي ترشدكم إلى السبيل السويّ. الله ينتظرنا. هبوا قلوبكم ليسوع، ولمريم، كي يساعداكم على تجنّب التجارب التي يسبّبها المال. واعلموا أنّ إبليس يسعى إلى إيقاعكم في الهاوية. يسوع يقتضي منّا حبًّا حقًّا. والإنسان الذي يطلب بصدقٍ، وبقلبٍ محبٍّ، ينال مبتغاه. ولكن حذارِ من انتهاج دربين، فإنّنا، حينئذٍ، لن نبلغ أيّ مكانٍ. إنّ أمور الله تأتي بتؤدةٍ ورفقٍ، خلافًا لأمور إبليس.

«فلنكن مسيحيّين بحياتنا كلّها. ولتكن أجسادنا أدواتٍ للربّ وللعذراء مريم. ولنلجأ إليهما في المصاعب والضيقات، فيساعدانا ويعزّيانا.

«يسوع يقول: «أنا أحببتكم حتّى تسليم ذاتي على

الصليب، من أجلكم. فهل تريدون صلبي من جديدٍ؟». والعذراء مريم تقول: «أدعوكم لكي تأتوا إليّ، ولكنّكم تؤثرون أن تظلّوا بمنأًى عنّي. فما الذي يحول بينكم وبيني؟»

«فلنسأل يسوع أن يهبنا كلمته، وأن يفتح آذاننا، وعيوننا، ويطهّر قلوبنا. وهو يطلب منّا أن نحبّ بعضنا بعضًا، كمسيحيّين، أي كتلاميذ له».

رسالة كيبيهو

قالت السيّدة العذراء لماري كلير، في أثناء ظهورها لها بتاريخ ١٩٨٣/٣/٢٧: «**عندما أزور شخصًا، وأتحدّث إليه، فإنّي أبتغي مخاطبة العالم أجمع**». وكانت ماري كلير قد خاطبت العذراء قائلةً: «لا يفهم الناس سبب مجيئك إلى رواندا، مع أنّها بلادٌ فقيرةٌ»، فأجابتها العذراء أنّها جاءت إلى رواندا، تحديدًا، لأنها بلادٌ فقيرةٌ، حيث مازال يوجد قومٌ متواضعون يحبّونها. وأكّدت أنّ اللّه ليس فقط إله الغرباء، كما يدّعي بعضهم. وهي إنّما جاءت لكي تهدي الجميع إلى طريق اللّه، ولكي تُفهمهم أنّ رسالة اللّه موجّهةٌ لهم، أيضًا. وسواءٌ إن كان البشر بيضًا أو سودًا، فهم متساوون في نظر اللّه.

ولطالما أكّدت السيّدة العذراء للرؤاة: «**إنّ ما تقولونه، وما تفعلونه، في أثناء الظهورات، هو لتعليم الجميع**».

إنّها، إذن، رسالةٌ عالميّةٌ شاملةٌ، وهي، في المقام الأوّل، دليلٌ على حبّ مريم الأموميّ. فظهوراتها الأولى لثلاث طالبات في المعهد كانت تدلّ على سعادة أمٍّ وسط بناتها، ولا سيّما عندما كانت تظهر في أثناء سهرات الصلاة. وكان الحوار بينها وبينهنّ يسبح، دائمًا، في جوٍّ من الألفة والمودّة. وكانت ألفونسين، عندما تتلو المسبحة تقول: «السلام عليك، يا أمّي». والعذراء كانت تطلب منهنّ أن يبحنَ لها بكلّ كوامن قلوبهنّ. وقد قالت لـقيستين ساليما إنّها «تمدّ للبشر ذراعيها، ومن يأتي إليها ترحّب به، وتضمّه إلى قلبها».

تؤكّد لنا أمّ الله مواكبتها لنا على امتداد مسيرة حياتنا، إن نحن أحللناها المكان الخليق بها في وجودنا. فالأمّ لا تبتعد عن أبنائها، في أفراحهم وفي أحزانهم. فليبعث فينا هذا اليقين، إذن، الثقة والجرأة.

مريم هي أمّ الله، وإنّما غايتها اقتياد البشر أجمعين إلى

ابنها. وقد أفصحت عن ذلك بقولها: «**لقد جئت كي أعدّ إلى ابني الطريق، من أجل خيركم، وأنتم تأبون الفهم. لم يبقَ سوى وقتٍ قصيرٍ، وأنتم غافلون، لاهون بحطام هذا العالم الفاني. لقد رأيت كثيرين من أبنائي يُودون بأنفسهم إلى التهلكة، وجئت كي أرشدهم إلى طريق الخلاص والصواب**».

إنّما يوافي يسوع ومريم إلى عالمنا، لأنّ كثيرين هم على شفا الهاوية. وقد قالت أمّ اللّه بأسًى: «**الخطايا أكثر من قطرات ماء البحر... والعالم يجري صوب هلاكه. وشروره لا تني تتفاقم**».

يوم ١٩٨٢/٨/٢٩، رأت ألفونسين أمّ اللّه تبكي، وقد بكى الرؤاة، واصطكّت أسنانهم، وانهاروا هلعًا، وهم يشهدون، على امتداد ثماني ساعاتٍ متواصلةٍ، مشاهد مريعةً: أنهار دمٍ، قومًا يتذابحون، جثثًا مرميّةً مهملةً، أشجارًا ملتهبةً، حُفرًا فاغرةً، رؤوسًا مقطوعةً، غيلانًا، إلخ... وقد بلغ عدد الحضور، يومها، نحو عشرين ألف شخصٍ.

رسالة كيبيهو هي إنذارٌ مستعجلٌ، ملحٌّ، لا يدع للانتظار والتريّث فسحةً؛ وهي دعوةٌ إلى الإسراع في التوبة والتحوّل نحو اللّه. وفي سبيل ذلك ألحّت العذراء في الدعوة إلى تلاوة المسبحة، وإلى العودة إلى مسبحة الآلام السبعة، فهي كفيلةٌ بدرء الأخطار المحيقة بالعالم.

وجديرٌ بالتنويه أنّ ثلاثًا من الرائيات لقينَ حتفهنّ في مجازر الحرب الأهليّة التي دارت رحاها عام ١٩٩٤.

وتشترك رسالة كيبيهو مع رسائل الظهورات الأُخرى في العالم، بالدعوة إلى الصلاة الصادقة النابعة من القلب، وإلى التوبة العاجلة، وإلى تحمّل الآلام مساهمةً في آلام يسوع الخلاصيّة، وإلى حمل الصليب برضًى، وإلى الصوم، والتيقّظ لعلامات الأزمنة، علامات السماء.

وفي تلخيصٍ لرسالة كيبيهو، أهاب المطران «غاهامانيي» (Gahamanyi) برعاياه إلى تلبية طلبات أمّ اللّه قائلاً: «ينبغي أن تصلّوا من أجل ارتداد العالم، كي يعود إلى ممارسة الأسرار، ولا سيّما سرّ التوبة والمصالحة، ولكي يزهدَ

في متاع الأرض مؤثرًا التماس خيرات السماء، متواضعًا أمام اللّه، عسى أن يسود، بين البشر، السلام، والرحمة، والمحبّة الأخويّة».

ولطالما عبّرت العذراء عن حزنها لأنّ رسالتها لا تلقى ما تستأهله من إصغاءٍ واهتمامٍ.

ولطالما شكا يسوع من انتشار الفسق، ودعا إلى التوبة، سريعًا، قبل فوات الأوان. وتوجّه، بوجهٍ خاصٍّ، إلى المكلّفين بإعلان الإنجيل.

وفي كيبيهو دعوةٌ إلى نشر الرسالة. فعلى كلّ مسيحيٍّ أن يكون رسولاً، وأن يسهم في خلاص العالم. وفيها نداءٌ ملحٌّ إلى الشبيبة، وتحريضٌ على الصلاة من أجل المتوفَّين، فهي خير وسيلةٍ للتعبير لأحبّائنا الراقدين عن حبّنا ووفائنا لهم.

وتتميّز رسالة كيبيهو بالتذكير بعودة يسوع إلى الأرض، وبضرورة الاستعداد لها.

ورسالة كيبيهو هي دعوةٌ إلى قراءة إشارات اللّه في حياتنا، حيث تحدث كلّ يومٍ، معجزاتٌ: الموت، ولادة

الطفل ونموّه، شروق الشمس وغروبها... حسبنا أن نفتح عيوننا كي نرى معجزاتٍ في كلّ شيءٍ، وفي كلّ حينٍ. إنّنا نسبح، كلّ لحظةٍ، في عباب فائق الطبيعة.

ومن ثمار ظهورات كيبيهو تجدّدٌ روحيٌّ واضحٌ. وقد قال الأسقف «غاهامانيبي» بهذا الشأن: «من المحقّق أنّ ظهورًا معترفًا به يدعم حياة الإيمان والصلاة، وهو عونٌ منيعٌ لعمل الكنيسة. غالبًا ما كانت الظهورات المعترف بها جرس إنذارٍ، يدعو العالم إلى التوبة، ودورها هو هزّ الضمائر الغافية وإيقاظها... كانت تذكيرًا يلائم الوضع الروحيّ في كلّ حقبةٍ».

رسالة كيبيهو تفوح برائحة الإنجيل. فالعذراء تقول ما سبق لابنها قوله، ولكن بلغة الأمومة، وهي تخاطب حقبتنا، حقبة النصف الثاني من القرن العشرين.

الرؤاة أنفسهم تحوّلوا: سيغاتاشيا تحوّل مثل بولس. وبعد أقلّ من مرور سنةٍ على رؤياه الأولى، نال سرّ العماد والتثبيت. وكذلك فعلت ڤستين ساليما.

ماري كلير، وستيفاني، وأناتالي، وألفونسين وأنييس، أصبحنَ رائدات صلاةٍ، ورسولاتٍ في محيطهنّ.

ويبدو مثال ماري كلير نموذجيًّا. فقد حدث لها الظهور الأخير في ١٩٨٢/٩/١٥. وفي نهاية حزيران ١٩٨٣، أنهت دروسها، وعادت إلى المنزل الأبويّ. وبمشقّةٍ حصلت على وظيفة تعليمٍ في مدرسةٍ تبعد عن مكان إقامتها مسافة ساعة سيرٍ جيئةً، ومثلها إيابًا. في البدء تعرّضت هي والعذراء لوابلٍ من التهكّم. ولكنّها بجرأتها، ونصاعة سلوكها، وحسن تعليمها، اكتسبت تقدير الجميع، فأحجم الكبار عن التهكّم عليها وعلى الظهورات، وأحاط الصغار إحاطةً جيّدةً بمبادئ المسيحيّة.

مصداقيّة الظهورات

سأل كاهنٌ ألفونسين: «هل تحدث لك ظهوراتٌ حقًّا؟». فأجابت: «لست أدري هل يمكن تسميتها ظهوراتٍ، ولكنّني واثقةٌ من أنّني أرى العذراء مثلما أراك، أنت، الآن». وهكذا يجيب سائر الرؤاة. وما يؤكّد مصداقيّتَهم صراحتُهم، وصدقُهم، وسلوكهم الطبيعيّ، واستقامتُهم.

معظمهم حافظوا على بساطتهم، وتواضعهم، وهندامهم الوضيع، مثلما كانوا قبل الظهورات. فأنييس تعمل في الزراعة، وتحمل منتوجات المزرعة إلى السوق على رأسها. وڤيستين تعمل في مشغل خياطةٍ تديره راهبةٌ، وهي ماهرةٌ في عملها. وفي أوان المواسم لا تتوانى عن مساعدة ذويها في أعمال الزراعة.

سيغاتآشيا دائبٌ، هو أيضًا، على الزراعة للمساعدة في إعالة إخوته، وهو أكبرهم.

ستيفاني تابعت دروسها للحصول على شهادةٍ تؤهّلها للعمل.

أناتالي تكرّس عُطَلَها المدرسيّة لاستقبال الحجّاج. وغالبًا ما تقضي لياليها في الصلاة. وكذلك هي حال ألفونسين التي كانت تلقى مشقّةً في الدراسة.

ماري كلير عملت مدرّسةً، ووفّرت مكاسبها كي تبني بيتًا لذويها.

بالإجمال، الرؤاة السبعة مندمجون في بيئتهم، متواضعون، ممحيّون، لا يتميّزون، في مظهرهم وفي سلوكهم، عن سواهم، ولا يسعون وراء الشهرة.

لم يكن أحدٌ منهم معدًّا لما حدث له. فماري كلير كانت ترفض حتّى مبدأ الظهورات، وتهزأ بها. أمّا سيغاتآشيا، فقد جيء به، كما يُقال شعبيًّا، «من وراء البقر».

وقد أكّد الأطبّاء النفسيّون أنّهم، جميعهم، طبيعيّون، سليمون من كلّ خللٍ نفسيٍّ، في وعيهم وفي لا وعيهم. وما حدث لهم إنّما وقع عليهم بغتةً، ولم يتوقّعوه. ولا شيء كان يجمعهم.

ولا ريب أنّ ما كان يجري لهم من انخطافاتٍ، ووقوعٍ على الأرض، ورحلاتٍ إلى عوالم أُخرى، وأصوامٍ مدهشةٍ، إنّما كان إشاراتٍ من السماء، ودعمًا للرسائل التي كُلّفوا بتبليغها.

في أثناء الانخطافات تكون وجوههم مشرقةً، وعيونهم شاخصةً إلى نقطةٍ محدّدةٍ لا تحيد عنها، حتّى عندما يتحرّكون، وأنظارهم غارقةٌ في اللانهائيّ اللامحدود، وهم لا يشعرون بأيّ شيءٍ ممّا يحيق بهم، أو بما يحاول الآخرون امتحانهم به، من وخزٍ مؤلمٍ أو حرقٍ، ولا يؤثّر فيهم ضجيجٌ أو أضواءٌ كاشفةٌ باهرةٌ، وغالبًا ما لا يذكرون شيئًا ممّا فعلوا أو قالوا. قد يهوون، فجأةً، فاقدي الوعي، ثمّ ينهضون، وكأنّ شيئًا لم يكن، ولم يحدث لهم، يومًا، جرحٌ أو التواءٌ.

ومع أنّهم كانوا يخاطبون الجماهير ساعاتٍ طويلةً، لم تكن تحيدُ كلمةٌ من أقوالهم عن جادّة الصواب، ولا تقع في زلّةٍ أو خطإٍ. كانوا يتناولون مواضيع خطيرةً تتخطّى مداركهم. فعلى سبيل المثال، كان سيغاتآشيا، الوثنيّ الأمّيّ، يدلي بأقوالٍ، تدهش بسموّها وصوابها، ولم يكن له، من قبلُ، أيّ علمٍ بها.

ولا جَرَم أنّ الأصوام الطويلة المدهشة التي مارسها بعضهم، وراقبتها، عن كثبٍ، لجانٌ طبّيّةٌ، تنهض دليلاً على دعم السماء. وقد جاء في تقرير اللجنة التي راقبت صوم «أناتالي موكامازمپاكا»، خلال الصوم الكبير لعام ١٩٨٣:

«إثرَ مراقبةٍ دقيقةٍ لصوم أناتالي، تبيّن لنا أنّها أمضت ٩٨ ساعةً و٤٥ دقيقةً (من ١٩ شباط ١٩٨٣ الساعة السابعة عشرة وخمس عشرة دقيقةً حتّى ٢٣ شباط الساعة العشرين) لم يظهر، خلالها، أيّ دليلٍ سريريٍّ أو بيولوجيٍّ على جفافٍ أو نقص ماءٍ في جسمها. وقد شهدناها تضطلع ببعض النشاطات

اليوميّة، فتشترك في الصلوات الجماعيّة، وترتّب غرفتها، وتغتسل، وتطالع، وتستقبل الزائرين وتواكبهم.

«ونلاحظ أنّ هذا الواقع يناقض السنن الفيزيولوجيّة، لأنّ الجسم البشريّ لا يحتمل نقصًا كلّيًّا في تناول السوائل طيلة أربعة أيّامٍ، من غير أن تظهر عليه علامات جفافٍ.

«ولا بدّ من التنويه بأنّنا بدأنا مراقبتها متأخّرين ثلاثة أيّامٍ عن شروعها بالصوم، ولم نأخذ هذه الفترة بالحسبان. ولم نرَ ضرورةً لحساب الأيّام السبعة الأُخرى، التي صامت، في أثنائها، صومًا جزئيًّا، وارتشفت، خلالها، ماءً وسوائل محلاّةً، ولكن بكمّيّاتٍ ضئيلةٍ جدًّا، لا تفي باحتياجاتها».

أمّا عن صوم «سيغاتآشيا» فقد كتب الدكتور «نتامبومقورا» (Ntambomvura): «زرت، مرّاتٍ عديدةً، سيغاتآشيا، طيلة صومه، وثبت لي أنّه لم يكن يتناول طعامًا ولا شرابًا. كان راقدًا، ولكنّه كان يجلس عندما تتمّ معاينته. لم يكن يتكلّم،

ولم يكن يسمع. الوسيلة الوحيدة التي لجأنا إليها للتواصل معه كانت كتابة الأسئلة التي كان يكتب إجابته عليها».

ويؤكّد الطبيب، بالتفصيل، أنّ الفحوص أثبتت أنّ جميع أعضائه، كانت سليمةً، مع ظهور عوارض صممٍ. وانتهت اللجنة الطبّيّة المكلّفة بمراقبة صوم سيغاتآشيا، إلى النتائج التالية:

«١ – يمكن تأكيد أنّ سيغاتآشيا قد مارس صومًا كاملاً مدّة سبعة أيّامٍ، أي من ٧ حتّى ١٤ آذار ١٩٨٣. ولا يمكن تفسير بقاء وضعه الصحّيّ طبيعيًّا، طيلة هذه المدّة، تفسيرًا فيزيولوجيًّا.

٢ – استعادته الفوريّة للغذاء الطبيعيّ بوفرةٍ، من غير تسبيب مضاعفاتٍ، هي أيضًا أمرٌ مستغربٌ.

٣ – لا تفسير لاستمرار درّ البول لديه، طبيعيًّا، طيلة فترة صيامه.

٤ – لا تفسير، كذلك، لصممه الكلّيّ، والمؤقّت».

وممّا يدعم مصداقيّة الظهورات، أيضًا، ما واكبها من علاماتٍ في السماء، ومن أمطارٍ غير متوقّعةٍ، ومن أشفيةٍ.

علامات السماء يصعب تفسيرها مادّيًّا، وتتعذّر نسبتها إلى هلوسةٍ جماعيّةٍ، إذ إنّها شوهدت في أماكن تبعد ثلاث مئة كيلومترٍ عن كيبيهو.

وقد روى مدير مصرفٍ ظاهرةً من هذا النمط، جرت في أثناء ظهورٍ بتاريخ ١٩٨٢/١١/٦، قال:

«كان الظهور قد بدأ في الساعة السادسة عشرة وخمس عشرة دقيقة، وبعد نصف ساعةٍ، غيّرت الرائية جلستها. فقد كانت راكعةً، شاخصةً إلى الشمال، وبغتةً حدّقت إلى الغرب، إلى قلب الشمس، ودعت الجمهور إلى مراقبة الشمس التي تبدّل مظهرها. وتأمّل الجمهور كلّه الشمس التي كانت تتحرّك، أو بالحريّ، كانت ترقص رقصًا حقيقيًّا، وقد فقدت كلّ سطوعها، فغدا من المستطاع مراقبتها، كما يراقب

القمر، من غير انبهارٍ. وكانت تدور تارةً دوران عجلةٍ، وتارةً أُخرى، دوران مكبس محرّكٍ.»

وفي مناسباتٍ أخرى، لم تقتصر الشمس على الرقص، بل تبدّل لونها، فأصبحت خضراء، أو ظهر في السماء صليب يسوع يعلوه إكليل الشوك.

وأفاد شاهدٌ آخر أنّ الرائية أنييس أعلنت أنّ منظرًا آخر سيظهر، ولكن لن يراه الجميع. وفي الواقع انقسم كوكب الشمس إلى جزئين: أعلاهما أبيض، والسفليّ أزرق. وقالت الرائية مفسّرةً: «اللون الأبيض يعني أنّ اللّه سيأتي عندما يشاء، وعلى من ينتظره أن يكون متيقّظًا ومستعدًّا. أمّا اللون الأزرق فيشير إلى لون ثياب العذراء». ويضيف الشاهد: «ثمّ قالت الرائية: «انظروا جيّدًا، تروا يسوع يظهر لكم القربان المقدّس». ونظرنا جميعنا، فشاهدنا قربانةً بيضاء جسيمةً، محاطةً بسحبٍ داكنةٍ». وقد جرت ظواهر مماثلةٌ لدى الظهورات لعدّة رؤاةٍ، وقد أجمع هؤلاء على اعتبار هذه الظواهر إشاراتٍ سماويّةً.

وقد دعمت الظهوراتِ إشاراتٌ أُخرى، مثل الأمطار التي كانت تنهمر فوق مكان الظهورات، ولا تتعدّاه، في حين لم يكن ثمّةَ ما ينبئ بهطولها، أمطارٍ لم تكن تؤذي نباتًا ولا بشرًا، بل كانت تؤتي الكثيرين انتعاشًا وقوّةً مجهولة المصدر. واتّفق، مرارًا، أن طلبت العذراء من الرؤاة ألاّ يحاولوا اتّقاء المطر، فلم يستخدموا مظلاّتٍ، ومع ذلك لم يصبهم أيّ بللٍ.

وذُكِرَ حدوث أشفيةٍ عجيبةٍ عديدةٍ، سواءٌ بملامسة مسبحة الآلام السبعة التي تمّت مباركتها في كيبيهو، أو بارتشاف ماءٍ مباركٍ، أو بالاغتسال به.

غير أنّ الأهمّ من كلّ ذلك هو العلامات في حياة البشر، وفي الرسالة ذاتها التي تتخطّى مدارك من تلقّوها، والتي تُغني عن التماس معجزاتٍ من أجل الإيمان. وقد قالت العذراء، في هذا الشأن: «طوبى لمن يؤمن ولم ينتظر معجزاتٍ. فالذين ينتظرون المعجزات يلقون مشقّةً في الإيمان. وعندما تنتهي المعجزات، يتلاشى إيمانهم»، في حين لا يسوغ تفويت زمن الله.

من المآخذ على ظهورات كيبيهو، استهجان كثيرين الإسهاب في الحوارات التي كانت تدور فيها، وورود عباراتٍ تبدو نافلةً. ولكن لا بدّ من تبيان أنّ الإسهاب يتلاءم مع العقليّة والتقاليد الروانديّة التي تقيم شأنًا كبيرًا للكلمة. ولا بدّ من التذكير بأنّ يسوع طلب من السامريّة ماءً، تمهيدًا لحديثه عن الماء الحيّ، وهو يطرح أحيانًا أسئلةً عن أحوالٍ لا يجهلها تمهيدًا للولوج إلى أمورٍ جوهريّة.

ولئن اختلف أسلوب ظهورات كيبيهو عن الظهورات الشهيرة الأخرى، فالجوهر لا يتغيّر، وهو تذكيرٌ بتعليم يسوع، وتأكيدٌ له. وفي هذا السياق، قالت فيستين ساليما: «...تعلّمنا العذراء أنّ ما قيل، وما يُقال الآن، وما سيظلّ يُقال حتّى نهاية العالم، هو ما سبق لابنها قوله... وإن عادت العذراء إلى أرضنا، فلكي توقظنا، وتذكّرنا بالحقائق، وتظهر لنا حزنها، بسبب ما نقول ونفعل. إنّها تتألّم لأنّكم لا تفعلون ما يتوجّب عليكم فعله. ولذلك أتت كي تذكّركم بواجبكم. إنّها تذكّرنا «بالإنجيل المنسيّ».

ولا بدّ من التنويه بأنّ رسائل كيبيهو أتت باللغة الروانديّة. فالسماء تكلّم كلّ قومٍ بلغتهم. فقد استخدمت اللهجة المحلّيّة في لورد، واللغة البرتغاليّة في فاطيما، والكرواتيّة في ميديوغورية، والعربيّة في الصوفانيّة.

تأثيراتٌ

لقد آتت ظهورات كيبيهو ثمارًا يانعةً، وآثارًا خيّرةً بيّنةً، نورد، في الأسطر التالية نماذج منها:

أحد معلّمي معهد البنات في كيبيهو، وكان، عند بدء الظهورات، ملحدًا، أُعطي أن يشهد الأحداث العجيبة التي قلبت كيانه وكلّ مسيرة وجوده، فما لبث أن انتسب إلى إكليريكيّةٍ كبرى، استعدادًا للكهنوت. وعلى غراره تأثّر مصير الكثيرين. فقد طغت موجة صلواتٍ، وترسيخ إيمانٍ، وإقبالٍ على الأسرار، وتكاثرت الدعوات الكهنوتيّة والرهبانيّة.

وشهد عيد الفصح لعام ١٩٨٤ تظاهراتٍ دينيّةً رائعةً، وتنادى القوم إلى سهرات الصلاة الجماعيّة على التلال، وفي البيوت، أو في الهواء الطلق، حيث تردّدت أصداءٌ مريميّةٌ جليّةٌ.

طيلة الظهورات، أي على امتداد سنتين، كانت الحشود التي تغشى كيبيهو لكي ترى وتسمع، لا تني تتضخّم، وتقف صامتةً، خاشعةً. بعضهم كانوا يعتلون سطح سيّارةٍ، أو حافلةٍ، أو مدرسةٍ، أو يتسلّقون شجرةً كي يحسنوا المشاهدة والإصغاء. وكثيرون كانوا يجتازون مسافاتٍ طويلةً، سيرًا على الأقدام. ومنهم من ضحّوا بعطلةٍ أسبوعيّةٍ، أو بمشاهدة مباراة كرة قدمٍ، هم بها كلِفون، وتحدّوا مخاطر الطرقات. وهناك كان يلتقي شبابٌ وشيوخٌ، فقراء وأغنياء، كهنةٌ كاثوليكيّون، وقساوسةٌ بروتستانتيّون، وعلمانيّون، جامعيّون وأمّيّون؛ رواندّيون، وزائيريّون، وبورنديّون، وأوروبيّون، مسيحيّون، ومسلمون ووثنيّون. وكانت هذه اللقاءات تتكرّر، مرّاتٍ، كلّ شهرٍ.

وأيّ بخور صلواتٍ كان يتعالى من تلك الحشود، صلواتٍ فرديّةٍ، سرّيّةٍ، أو جماعيّةٍ، علنيّةٍ!

في أثناء ظهورٍ لقيستين ساليما في ١٩٨٢/١٢/٨، داخل الكنيسة، هتف حاجٌّ قادمٌ من زائير، وكأنّه لسان حال

الحضور جميعهم: «يا مريم العذراء، صحيحٌ أنّ عالمنا سيّئٌ، ونحن جميعنا خطأةٌ، وبحاجةٍ ماسّةٍ إليك. فلا تتخلّي عنّا، بل بادري إلى نجدتنا».

ونحن نضمّ صوتنا إلى صوت ذلك الحاجّ، فاستجيبي، يا أمّاه، لطلبه ولطلبنا!

مواقف رسميّةٌ

في ١٩٨٨/١/١، كرّس رئيس أساقفة كيغالي كلّ رواندا للعذراء، وبناءً على تقرير لجان التحقيق، سمح أسقف «بوتاري»، جان باتيست غاهامانيي بالحجّ إلى أماكن الظهورات، وبتكريم سيّدة كيبيهو.

حجر أساس الكنيسة وُضع في ١٩٩٢/١١/٢٨. ولكنّها شهدت مآسي مريعةً. فقد هلك فيها، حرقًا، نحو ألف روانديّ، التجأوا إليها.

عام ٢٠٠٠ أعلن المطران «ميزاغو» (MISAGO)، الذي سبق له أن اشترك في لجنة التحقيق الكنسيّة أنّ مصدر الظهورات إلهيٌّ، قائلاً: «أجل، لقد ظهرت العذراء مريم في كيبيهو، يوم ١٩٨١/١١/٢٨ وإنّ براهين صحّة الظاهرة ترجح على دواعي الشكّ».

ألفونسين موموريك

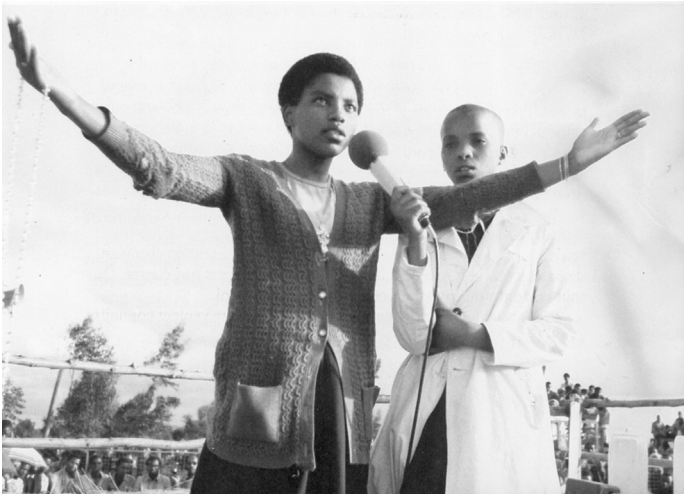

أناتالي موكامازيمبوكا

ماري كلير موكانغانغو

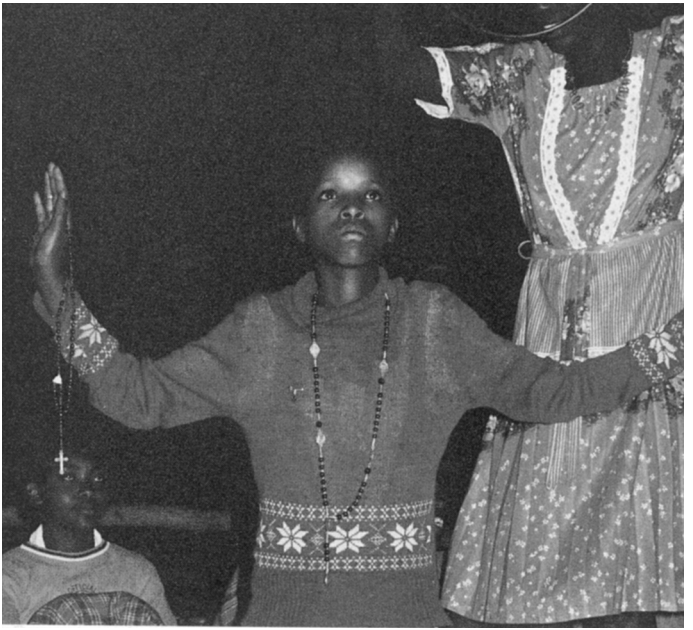

ستيفاني موكامورينزي

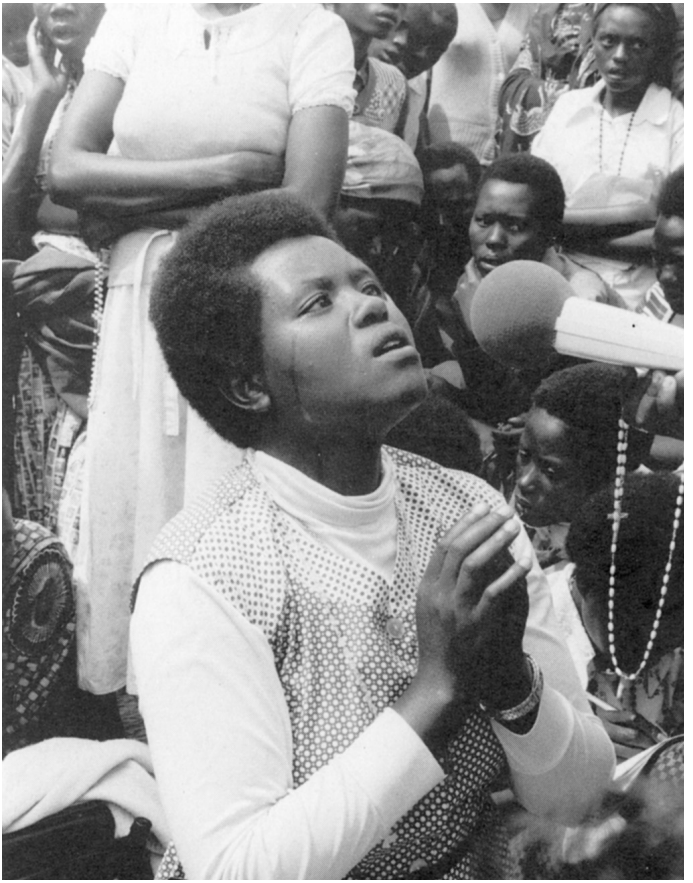

ڤيستين ساليما

إيمّانويل سيغاتّاشيا

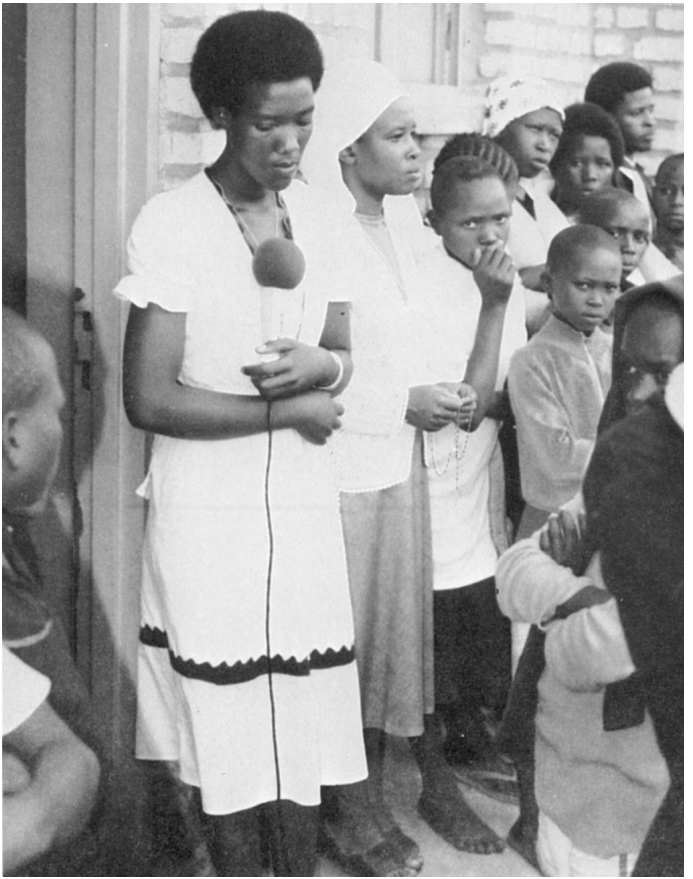

أنييس كاماغاجو

فهرس ظهورات كيبيهو

كيبيهو	٧
الظهور الأولّ، في المعهد	١٣
«ألفونسين موموريكي»	١٣
ظهورٌ لأناتالي موكامازيمبوكا	٢٢
ظهوراتٌ للطالبة «ماري كلير موكانغانغو»	٢٤
ظهوراتٌ خارج المعهد	٢٦
ستيفاني موكامورينزي	٢٦
ڤيستين ساليما	٢٧

إيمانويل سيغاتآشيا	٢٩
أنييس كاماغاجو	٣٣
ملاحظاتٌ عن ظهورات كيبيهو	٣٥
سقطات الرؤاة	٤٠
تبريكٌ	٤٢
صلواتٌ	٤٥
رحلاتٌ إلى العالم الآخر	٤٧
أصوامٌ	٥٠
أقوالٌ	٥٣
الرؤاة والرسائل	٥٥
ألفونسين موموريكي	٥٥

أناتالي موكامازمبوكا	٥٨
«ماري كلير موكانغانغو»	٦٥
طريقة تلاوة مسبحة الآلام السبعة	٧٢
«ستيفاني موكامورينزي»	٧٣
«ڤيستين ساليما»	٨١
«إيمّانويل سيغاتآشيا»	٩٧
أنييس كاماغاجو	١٠٦
رسالة كيبيهو	١١٦
مصداقيّة الظهورات	١٢٣
تأثيراتٌ	١٣٤
مواقف رسميّةٌ	١٣٧

ظهورات غوادالوپّي

(المكسيك)

قبائل الأَزتيكيّين

قبائل الهنود الأزتيكيّين تمثّل سكّان المكسيك الأصليّين، وكانت تعبد طائفةً من الآلهة، أبرزها الملك النهم إلى الدماء البشريّة «تيزكاتليپوكا» (Tezcatlipoca)، الذي كان يقتضي مئات الضحايا البشريّة، كي تظلّ الشمس تشرق على البسيطة، والملك الإله الكاهن المسالم المتحضّر «كويتزالكوات» (Quetzalcoat)، واسمه يعني الأفعى الطائرة، الذي عمّم تعليم المهن الرفيعة، وممارستها، فأشاع الغنى والبحبوحة في مملكته. وقد رأى البابا يوحنّا بولس الثاني أنّ تعاليمه الإنسانيّة السمحاء مهّدت لانتشار الإنجيل لدى شعبه. وكان هذا الملك قد نهى عن التضحية بالبشر، فنشب بين المِلكين صراعٌ حادٌّ، أُكره، بنتيجته، «تيزكاتليپوكا» على الفرار، معلنًا عزمَه على العودة، يومًا، لاسترجاع عرشِه ومملكته.

وكان الأَزتيكيّون يعتقدون أنّ لكلّ ظاهرةٍ، في الكون، إلهًا، فلكلٍّ من الأرض، والقمر، والشمس والنار، والحرب، والموسيقى، إلهٌ؛ ولكلّ ظاهرةٍ مغزًى دينيٌّ، يشيع في النفوس الهواجس. وكان أشدّ ما يثير خشيتهم إغضاب الآلهة، إن هم أهملوا بعض الطقوس المقتضاة، فيسعون إلى شراء رضى هذه الآلهة بالضحايا الدمويّة. ولا بدع، في هذا الجوّ، أن يحتلّ الكهنة مكانةً رفيعةً ومؤثّرةً في المجتمع.

ومن أخطر آلهتهم شأنًا إله الشمس الذي يقتضي فيضًا من الدماء كي يظلّ يشرق، فينير الأرض ويدفئها، وينضج المواسم.

كان الأزتيكيّون رحّلاً، وقد أمرهم أحد ملوكهم بهجر كلّ ممتلكاتهم، ومساكنهم في شمال غربيّ المكسيك، والانطلاق نحو وسط البلاد، وأخطرَهم أنّ ترحالهم سينتهي يوم يشاهدون نسرًا جاثمًا فوق نبتة صبّارٍ يلتهم أفعى.

ولطالما اصطدموا، في أثناء ترحالهم، بالقبائل الأُخرى

التي لم ترحّب بجيرتهم، فالتجأوا إلى جزيرةٍ تغمرها المستنقعات، وسط بحيرة مكسيكو، وأنشأوا فيها إمبراطوريّتهم. وكانت هجرتهم قد تمادت مئتين وثماني سنواتٍ.

وقد أضحى النسر الجاثم فوق نبتة صبّارٍ، ملتهمًا أفعى، هو رمز العلم المكسيكيّ.

في مطلع القرن الخامس عشر كان ما بلغه الأزتيكيّون من مستوًى حضاريٍّ، في ميادين عديدةٍ، يضاهي ما بلغه الإسبانيّون أنفسهم. فكانوا ملمّين بعلوم الرياضيّات، والفلك، والفلسفة، والطبّ، والفنّ، وكانوا مهنيّين بارعين، وقد ذهل الفاتحون الإسبانيّون حيال ما شهدوه في إمبراطوريّة «تينُشتيتيلان» (Tenochtitlan) من روائع معماريّةٍ، ومن قصورٍ تفوق، فخامةً وأُبّهةً، كلّ ما عهدوه في إسبانيا.

كانوا يعبّرون عن أفكارهم بكتابةٍ قوامها صُوَرٌ، وكان للشعر والغناء عندهم مقامٌ رفيعٌ، فكانوا يتغنّون بالحبّ، والزهور،

بالموت المزهر، والحرب المزهرة. وكانت الأمّ تتبوّأ، عندهم، مكانةً رفيعةً.

ولكنّهم كانوا ما برحوا يجهلون عقد القنطرة في البناء، واستخدام الدولاب، والنقل على متن الدوابّ.

كانت أراضيهم من الخصب بحيث تكفي سبعة أسابيع حرثٍ وزرعٍ لتوفير طعام أُسرةٍ كاملةٍ، طيلة سنةٍ.

وكانوا مولعين بالحرب، وقد بنوا منعة أمبراطوريّتهم وازدهارها على قرنين من الانتصارات الحربيّة المتواصلة. فبالحروب كانوا يفرضون الجزية على القبائل المغلوبة، فيوفّرون لأنفسهم الموارد الماليّة، كما يوفّرون أعداد الأسرى الذين يتعيّن تقديمهم ضحايا لآلهتهم، والذين قدّر عددهم، في القرن الخامس عشر، بعشرين ألفًا، سنويًّا.

وكان إمبراطورهم السابع «موكتيزوما الثاني» (١٤٦٦–١٥٢٠) قد نشأ على تقاليد قبيلته وعقائدها، وكان قد توقّع، بناءً على تفسير ظواهر فلكيّةٍ متعاقبةٍ، وأحداثٍ غريبةٍ، نهاية

الإمبراطوريّة الأزتيكيّة، التي بلغت، في عهده، أوج عظمتها، وازدهارها، وبسطت سيطرتها على اثني عشر مليون نسمةٍ يقيمون في ثمانٍ وثلاثين منطقةً تأهلها شعوبٌ متعدّدة الأعراق، وتدفع لدولته الجزية والمكوس، موفّرة لها وسائل الازدهار والبحبوحة.

وعندما اجتاحت جحافل القائد الإسبانيّ «كورتيس» الشاطئ المكسيكيّ، في شهر نيسان من عام ١٥١٩، خُيِّل إلى الإمبراطور أنّ هذا القائد إنّما هو الملك النبيّ «كوتيزالكوات» العائد، فرحّب به. ولكنّ أتباع الإله «تيزكاتليپوكا» قاوموه بشراسةٍ، ولا سيّما بعد أن لمسوا من الإسبان المحتلّين رفضًا سافرًا لتقاليد الأزتيكيّين ولتضحياتهم البشريّة، وعزموا على القضاء عليها بحدّ السيف. ومن ثمّ تحوّلت عاصمة الأزتيكيّين «تينُشتيلان» ساحةً لإحدى أضرى المعارك في التاريخ. وقد استبسل الأزتيكيّون في الدفاع عن موطنهم بكلّ ما تيسّر لهم من وسائل، غير أنّ سنتين من المقاومة العنيدة انتهتا بسقوط المدينة، بعد أن دمّر جيش

«كورتيس»، هياكلها وآلهتها، وأهراماتها، وصروحها، رغم ضآلة عدد محاربيه الذي لم يتجاوز بضع مئاتٍ من الأنفار، وهزال عدّتهم التي اقتصرت على عشرة مدافع بطيئة الحركة، وستّة عشر حصاناً، نفق معظمها قبل وصول جيش الإسبان إلى مكسيكو، وبنادق بطيئةٍ، أيضًا، بحيث كان يتمّ التحام المقاتلين قبل أن يتمكّن الجنود الإسبان من حشوها وإطلاقها مرّةً ثانيةً.

وتساءل الأزتيكيّون أين هم آلهتهم، وأيّ عونٍ قدّم لهم الإله الذي سفكوا بين يديه دماء آلاف أبنائهم إرضاءً له. وتبيّن لهم أنّ الشمس ما برحت تشرق كلّ صباح، عقب إحجامهم عن تقديم الضحايا له، فأعادوا النظر في معتقداتهم، وقد افتضح زيفُها، والتمسوا من المحتلّين أن يَدعوهم يموتون بسلام، بعد أن قضت آلهتهم نحبها، وأثبتت بطلانها وفشلها. وكانت خيبتهم في آلهتهم أثقلَ وطأةً على نفوسهم من إمعان المحتلّين في استعبادهم، وازدرائهم، وسلب ممتلكاتهم.

وجديرٌ بالتنويه أنّ الأضاحي التي كانت تقدّم للآلهة كانت تشمل كلّ فئات المجتمع، أطفالاً وكهولاً، شبّانًا وشابّاتٍ، ذكورًا وإناثًا، وغالبًا ما كانت تُصطَنع معارك لا مبرّر لها سوى سَوق الخاسرين إلى مسالخ التضحية، مواكب كثيفةً. ففي يوم تدشين الهيكل الأكبر، ناف عدد الضحايا على ثمانين ألف هنديٍّ مكسيكيٍّ. وإلى غزارة عدد الضحايا، كانت طقوس تنفيذ التضحيات تسبغ عليها مزيدًا من فظاعةٍ ووحشيّةٍ. فقد كانت تُنتزع قلوب الضحايا وهم أحياءٌ، وتسيل دماؤهم جداول، إرضاءً للشمس ومدًّا لها بالطاقة. ثمّ تُقطّع أعضاؤهم إرْبًا إرْبًا، وتوزّع على الأعيان والحاضرين، طعامًا سائغًا، شهيًّا. وقد بلغ التفنّن في همجيّة تلك التقادم أنّ بعض الضحايا كانت تُخَدَّر، ثمّ تشوى، على الجمر، وهي حيّةٌ، كي توفّر مزيدًا من التلذّذ للآلهة، وللذوّاقين من القِرمين إلى اللحوم البشريّة.

وخليقٌ بالذكر، أيضًا، أنّ المكسيكيّين لاحظوا، قبيل مجيء المحتلّين الإسبانيّين، ظواهر فلكيّةً غير مألوفةٍ، وغرائب

حيوانيّةً وبشريّةً فسّرها منجّموهم بأنّها نُذر كوارث، ورأى بعضهم رؤًى تُنبئ بمجيء شعوبٍ غريبةٍ ستبشّر بالإله الحقّ، وتعلّم دينًا جديدًا.

ولا مفرّ من الإقرار بأنّ بعض جنود الاحتلال المرتزقة أمعنوا في الظلم والاستبداد مخالفين إرادة قائدهم، وتوجيهات ملك إسبانيا. وذهب الجشع بفئةٍ منهم إلى سلب ممتلكات السكّان الأصليّين، واستملاكها لحسابهم. وإلى استعباد السكّان أنفسهم، واستغلالهم لمصالحهم الخاصّة.

ولكن، على نقيض هؤلاء الجنود المتنكّرين للأخلاق الإنسانيّة، والتعاليم المسيحيّة، نادى المرسلون، ومعظمهم من الإخوة الفرنسيسكانيّين، بتعاليم المحبّة والإخاء والعدل. وقد سهّل مهمّتهم ما يتميّز به الأزتيكيّون الأصليّون من حسٍّ دينيٍّ وطيدٍ، ومن استقامةٍ وسخاءٍ فطريّين، ومن خصالٍ احترمها المرسلون وثمّنوها، فاستطاعوا النفاذ إلى قلوب السكّان الأصليّين وإلى قناعاتهم.

وكان القائد «كورتيس» قد طلب من ملك إسبانيا ألاّ يرسل إلى المكسيك كهنةً اعتادوا الترف، وحياة القصور، وانزلقوا إلى رذائل تتناقض وكلّ مبادئ المسيحيّة، إذ إنّ مثال هؤلاء كفيلٌ بتنفير المكسيكيّين من الدين المسيحيّ، ومن الحضارة الغربيّة. وقد بادر الملك إلى إرسال اثني عشر فرنسيسكانيًّا، ملتزمين بمبادئ الزهد والفقر الذي أقام عليه الأسّيزيّ أخويّته. وهؤلاء قطعوا المسافة من مرفأ سان خوان إلى مدينة مكسيكو، البالغة مئتي كيلومترٍ، حفاةً، مرتدين ثيابًا خشنةً، تشدّ وسطها أحزمةٌ من حبالٍ. وعلى امتداد طريق رحلتهم ما انفكّوا يسمعون لفظة «موتولينيا»، التي يصفهم بها القوم، وعندما أدركوا أنّ هذه اللفظة تعني «الفقير»، اعتنقها أحدهم اسمًا علمًا له. وقد توفّقوا إلى افتتان قلوب الشعب بزهدهم وطيبتهم، ومكافحتهم ظلم الإقطاعيّين، وفساد جنود الاحتلال، وإشاعتهم العدل والمساواة، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وفي عام ١٥٢٥ وافى الملك «ميشواكان» (Michoacan)

إلى مكسيكو، كي يقدّم واجبات الخضوع لملك إسبانيا، فاكتشف هناك الإخوة الفرنسيسكانيّين وتأثّر بهم أبلغ تأثّرٍ، والتمس، في الحال، أن يعمّدوه، وأن يرسلوا إلى مملكته عددًا منهم كي يبشّروا شعبَه. ولّما عاد إلى مملكته، رافقه بعضٌ منهم، فكان لهؤلاء الرّهبان حليقي الرؤوس، المرتدين الألبسة الخشنة، وقعٌ عميقٌ على رعيّته، التي أحسنت وفادة «فقراء اللّه»، ونصبت لاستقبالهم أقواس أغصان، وفرشت الزهور النادرة تحت أقدامهم، ونثرت كمّيّاتٍ كبيرةً منها فوق رؤوسهم، في أثناء اجتيازهم، وقدّمت لهم الأمّهات أبناءَهنّ كي يباركوهم.

ودعاهم ملوك المدن الأخرى إلى مواطنهم. وحيثما حلّوا كانوا يُلقون إلى النار الأصنام بما يزيّنها من ذهبٍ. وسرعان ما أدرك السكّان الأصليّون أن لا مطمع لهؤلاء الرهبان في ذهبٍ أو مالٍ، وأنّهم يختلفون عن سائر المحتلّين، ولا سيّما عن الجنود المرتزقة، فهبّ الأهالي لمساعدتهم على بناء مناسك من لبنٍ، مسقوفةٍ بالقشّ وأغصان الأشجار، وكنائس

كان الرهبان حريصين على أن يلحقوا بها مدارس، ومستشفياتٍ، ومستوصفاتٍ، يستقبلون فيها جميع فئات الشعب سواسيةً.

لا ريب أنّ إنسانيّة الفرنسيسكانيّين وزهدهم قد افتتنا الشعب البسيط، وأنّ طيبة الإله الذي كانوا يبشّرون به قد نفذت إلى أعماق نفوسهم؛ غير أنّ التبشير بهذا الإله قد لقي، بادئ الأمر، صدودًا من عموم الأزتيكيّين. فكثرة آلهتهم، وأبّهة طقوسهم الدمويّة كانتا ترويان، إلى حدٍّ ما، نزعتهم الدينيّة الفطريّة، كما أنّ تعدّد الزوجات والإباحيّة الشائعة كانا يلبّيان شهواتهم الجامحة ويشبعانها. ولكن، شيئًا فشيئًا، تبيّن القوم مدى التباين بين آلهةٍ متعطّشةٍ إلى الدماء، وإلهٍ محبٍّ فادٍ، وبين كهنةٍ جزّارين منتفعين، ورهبانٍ لا مطمع لهم سوى الخدمة، ولا دافع لهم سوى المحبّة.

وقد وصف المرسل الفرنسيسكانيّ «موتولينا» إقبال الهنود على العماد، بقوله: «كانوا يعبرون السواقي والأنهار، ويتعرّضون لجمٍّ من المشاقّ والمخاطر. أولادٌ وكهولٌ، أصحّاءُ

ومرضى، وحتّى مسنّون متهدّمون، يقدمون من مختلف المناطق لتلقّي العماد. بعضهم يكتفون بطلبه، وبعضهم يلحفون بالطلب، وآخرون يتوسّلون وهم راكعون... متأوّهين، وعندما يتلقّون العماد يبكون....

«لقد حانت ساعة الله في العالم الجديد.

«ولا ينفكّ الهنود يلاحقوننا بتوسّلاتهم، ودموعهم، ورجائهم، لكيلا يُحرموا من ذلك الخير الأكبر، مؤكّدين أنّهم ساورا أيّامًا طويلةً، واحتملوا تضحياتٍ جسيمةً، واجتازوا مخاطر كبرى، من أجل نيل العماد».

وشهد مرسلٌ آخر: «غالبًا ما يغدو الكهنة عاجزين عن رفع إناء العماد، لشدّة ما أعياهم التعب».

كان الهنود يقدمون زرافاتٍ لسماع المواعظ، ولتلقّي التعليم المسيحيّ، بهوًى يمكّنهم من التعلّم السريع. وكثيرون منهم كانوا يتدرّبون، باندفاعٍ، على التبشير، كي يحملوا البشرى السعيدة المخلّصة إلى القرى النائية.

وقد استجاب الأسقف «زمرّاغا» لهذه الحركة، بإنشائه أوّل معهدٍ للهنود، فضلاً عن مطبعةٍ، ومدارس، وأبرشيّاتٍ؛ وأيضًا، بمحاربته الحازمة لتجارة العبيد التي كان بعض الفاتحين قد شرعوا يمارسونها، واستصدر أمرًا ملكيًّا بمعاقبة ممارسيها.

حقًّا كان روحٌ إلهيٌّ جديدٌ يطوف فوق المكسيك.

فلا عجب إن بلغ عدد المعمّدين عام ١٥٣١ مليون معمّدٍ. وفي عام ١٥٣٦، ذكر الأخ الفرنسيسكانيّ الذي كان في طليعة من قدموا إلى المكسيك، واعتنق اسم «موتولينيا» أي «الفقير»، أنّ عدد المعمّدين تخطّى أربعة ملايين، وقفز هذا العدد، في غضون خمس عشرة سنةً، إلى تسعة ملايين. ويقال أنّ عدد المعمّدين قد بلغ أحياناً، عشرات الآلاف، في اليوم الواحد. وذكر أنّ محافظة «تبيكا» شهدت عمادة سبعين ألف شخصٍ، في أحد الأيّام. وكانت دوافع الإقبال على العماد متباينةً، إذ كان العماد يعني للكثيرين، في آنٍ واحدٍ، الخلاص من الآلهة القرمين إلى الدماء، وحماية الرهبان لهم من تعدّيات المرتزقة الإسبانيّين.

غير أنّ تدمير هياكل الآلهة الوثنيّة، وحرق أنصابها، قد شحذا سخط الهنود الشيوخ، فاضطهدوا كلّ مرتدٍّ، وبلغ التعصّب والغضب ببعضٍ منهم أن عمدوا إلى قتل أبناءٍ لهم اعتنقوا المسيحيّة. بيد أنّ تلك الحالات كانت نادرةً ومحدودةً. ولا بدّ من التنويه بأنّ الفرنسيسكانيّين قد حرصوا على احترام الثقافة الأزتيكيّة، بقدر ما استطاعوا، وجهدوا في الاندماج بتقاليدها، فأطلقوا على الكنائس الجديدة أسماء شفعاء يحاكي مثالهم ما يقال عن آلهةٍ وثنيّةٍ. ومع ذلك لم ينجُ كثيرون منهم من القتل والاغتيال.

ولمّا اتّضح أنّ عدد الفرنسيسكانيّين لا يفي بالحاجة إلى خدمة المؤمنين الجدد، انضمّ إليهم رهبانٌ من جمعيّاتٍ أخرى، كالدومينيكانيّين والأوغسطينيّين.

عام ١٥٢٨ عُزل القائد «كورتيس»، وعُيِّنت، محلّه، لجنةٌ ثلاثيّةٌ برئاسة «نينيو دي كوزمان» الرهيب الذي، مع عصابته، عاث فسادًا، وأمعن سلبًا، ونهبًا، وقتلاً،

واضطهادًا، ولم ينجُ من فظائعه الرهبان والمرسلون أنفسهم، الذين استنجدوا بملك إسبانيا، فخلع «نينيو» ولجنته، واستعاض عنهم بلجنةٍ أخرى يرأسها أسقفٌ. وحوكم «نينيو» وأعضاء لجنته، بعد أن جُرّدوا من كلّ ما سلبوه، وأعيدت الأملاك والأموال المسلوبة إلى أصحابها، وتوفّقت اللجنة الجديدة إلى إشاعة العدل والسلم والطمأنينة.

وقد استحصل راهبٌ فرنسيسكانيٌّ على أمرٍ بابويٍّ بمنع استعباد أيّ إنسانٍ، وبتقديس حرّيّة كلّ فردٍ.

واتّضح أنّ الأزتيكيّين، مع ما بلغوه من شأوٍ رفيعٍ ومن تقدّم في بعض ميادين الحضارة، كالبناء، ورغم قصورهم، وأهراماتهم، كانوا يجهلون وجود الأحصنة والعجلات والكتابة. وقد نزع المحتلّون إلى إدانتهم بتخلّفٍ لا شفاء منه، وهذا ما عارضه المرسلون المسيحيّون، مذكين، بذلك، غضب الفاتحين.

وقد حسمت العذراء هذا الخلاف، وبدّدت أوهام المحتلّين،

بإجرائها إحدى أكثر معجزاتها إدهاشًا، حتّى للمسيحيّين الإسبانيّين، بظهورها لهنديٍّ أزتيكيٍّ، كان في طليعة الذين نالوا سرّ العماد، هو «خوان دييغو».

من هو «خوان دييغو»؟

تباينت الروايات حول محتده وطبقته الاجتماعيّة، فقيل إنّه عاملٌ بسيطٌ من أبناء الشعب الفقير، في حين أكّدت رواياتٌ أخرى، مدعّمةٌ بإثباتاتٍ، أنّه من نسلٍ ملكيٍّ، وثمرة زواج إمبراطورٍ وأميرةٍ، وأنّ الكهنة توسّموا فيه، يوم مولده، كاهن المستقبل لأمّ الآلهة. ولكن يتّضح من سياق سيرته أنّه ساق حياة عامّة الشعب، من ليسوا عبيدًا، ولكنّهم لا ينعمون بأيّ امتيازٍ أو تقديرٍ، كما تنعم طبقات الكهنة والمحاربين المحترفين، والنبلاء، والتجّار، فيقضون حياتهم مغمورين، يكسبون خبزهم بجهدهم وعرق جبينهم، وغالبًا ما ينظر إليهم الأعيان نظرة استصغارٍ وازدراءٍ.

وُلد عام ١٤٧٤ في قرية «كووهتيتهان» (Cuauhtithan)

وهذه اللفظة، باللغة المحلّيّة، تعني «موقع النسور». هذه القرية تقع شماليّ مدينة مكسيكو، وفي حيّ «تلاياكاك» (Tlayacac)، عند ضفاف بحيرة «تزومپانغو» (Tzompango)، وفقد الفتى والديه في حداثته، فنشأ في كنف خاله الذي كان يملك قرىً عديدةً. وقد أُطلق عليه لقب «كووهتيلاتوأُتزين» (Cuauhtlatootzin) أي «من يكلّم النسور» أمّا «تزين»، في نهاية الاسم فهي علامة نبل المحقد. فقد نسبه البعض إلى قبيلة «تكسكوكانا» (Texcocana) النبيلة التي أيّدت القائد الإسبانيّ كورتيس.

تلقّى، في المدرسة، تعاليم دينه الذي كان يعبد طائفةً من الآلهة، كما تلقّن الغناء والرقص وفنون القتال، وشهد، وهو في الثالثة عشرة، تكريس معبد مكسيكو لآلهة الحرب والشمس، وبهذه المناسبة ضحّى كهنة ملّته، في غضون أربعة أيّامٍ، زهاء ثمانين ألف إنسانٍ من شتّى الأعمار، وانتزعوا قلوبهم، وهم أحياء، وقدّموها لآلهتهم كي يرووا عطشهم إلى الدماء البشريّة. وشهد، برعدةٍ وهولٍ، ألوف القلوب

التي كانت تنتزع، خفّاقةً، من الصدور، وألوف الجماجم المرصوفة، وأجسادًا من كلّ الأعمار كان يتقاسمها الكهنة والحاضرون كي يتنعّموا بمذاقها.

وكان قد شهد، وهو في الثامنة من عمره، التضحية بأخته الكبرى «تلالكوتيزال» ابنة العاشرة، على هيكل الإلهة «تونتزين» (Tonantzin). فقد كان يُفرض التضحية بطفلٍ أو طفلةٍ من أصل كلّ خمس ضحايا راشدين.

في مرحلة شبابه هجر مسقط رأسه، وسكن، مع خاله، في محلّة «تولپيتلاك» (Tulpetlac)، حيث شيّد أهل القرية، لاحقًا، كنيسةً صغيرةً في مكان بيته. وتزوّج، ثمّ ترمّل في سنّ الخامسة والخمسين. وكان معطاءً، متواضعًا، صوفيّ النزعة، ورعًا، كلِفًا بالطبيعة. وكان يستعين على توفير أوَد عيشه، باستثمار رقعة أرض صغيرةٍ يزرعها ذرةً، وبقولاً، وصبّارًا تُستخدَم أليافه في صناعة الملابس الشعبية.

كان من أوائل الذين اعتنقوا الدين المسيحيّ، وهو في سنّ

الحادية والخمسين. وبهذه المناسبة غيّر اسمه فأصبح «خوان دييغو»، وأصبح اسم زوجته «ماريّا لوسيّا» وقد افتتنه سلوك الإخوة الفرنسيسكانيّين المتّسم بالفقر، والفرح، والبذل، والمحبّة الشاملة. وتلقّى سرّ العماد على يد الفرنسيسكانيّ «موتولينيا» (الفقير). وقد حوّله اعتناقه المسيحيّة في العمق، ودفعه تأثّره البليغ بالفقر الفرنسيسكانيّ الطوعيّ إلى التمثّل بهم، فتخلّى عن معظم ممتلكاته، وقرّر الإيغال في الحياة الروحيّة.

ولكي يرسّخ معرفته بالدين الجديد الذي اعتنقه، كان «خوان دييغو» يختلف إلى مدينة «تلاتيلولكو» (Tlatilolco)، بجوار مكسيكو، أقلّه مرّتين في الأسبوع، قاطعًا مسافة خمسة عشر كيلومترًا، سيرًا على الأقدام. ولذلك كان يستهلّ مشواره قُبَيْل الفجر، كي يتسنّى له حضور القدّاس الإلهيّ، والاستماع إلى التعليم الدينيّ. ولهذا السبب أطلق عليه جيرانه لقب «الحاجّ». وكان يوم السبت يعني له الكثير، لأنّه اليوم المكرّس لتكريم السيّدة العذراء.

وفي يوم سبتٍ ظهرت له أمّ اللّه، فدمغ ظهورها هذا، في العمق، حياته، وتاريخ المكسيك، وتاريخ الكنيسة.

الظهور الأوّل

فجر يوم السبت الموافق التاسع من كانون الأوّل ١٥٣١، يمّم خوان دييغو شطر مدينة، «تلاتيلولكو»، بغية حضور القدّاس المقام تكريمًا للسيّدة العذراء، والتزوّد بالتعاليم المسيحيّة، جريًا على التقليد الذي كان حريصًا عليه، منذ اعتناقه دين يسوع، متلفّعًا بمعطفه، اتّقاءً للبرد، وللريح التي تهبّ على تلك المرتفعات التي ترقى إلى ألفين ومئتين وخمسين مترًا.

وعندما انتهى إلى تلّة «تيپياك» (Tepeac)، حيث كانت تنتصب، قبل أن يدمّرها الإسبانيّون، ثلاثة هياكل صغيرةٍ لأمّ الآلهة، «تونانتزين» (Tonantzin)، سمع أناشيد طيورٍ متنوّعةٍ ونادرةٍ، آتيةً من قمّة التلّة، تفيض عذوبةً لم يعهد لها

مثيلاً قطّ. وكانت أصداء الغابة تردّد هذه الأناشيد الجذلى. وفجأةً ساد الصمت، فذكر خوان روايات شيوخ قومه القائلة إنّ المحاربين الذين سقطوا في ساحات الوغى، والنساء اللواتي لقين حتفهنّ وهنّ يضعنَ أطفالهنّ، قد التحقوا، جميعهم، بالإله الشمس، وباتوا يسكنون في بلادٍ ساحرةٍ، يرتشفون رحيق الزهور العذبة المذاق، الأخّاذة الشذى، وما عادوا يعرفون للحزن معنًى، بل هم تحوّلوا إلى طيورٍ تزهو بريشٍ رائع الألوان ومتعدّدها. وتساءل هل هو مات والتحق بجوقتهم، أم إنّه كان مجرّد حالمٍ. وفي غمرة حيرته، وفيما كان يحدّق إلى قمّة التلّة، حيث تشرق الشمس، مستطلعًا مصدر الموسيقى السماويّة، ناداه صوتٌ رقيقٌ باسمه مصغَّرًا، تحبُّبًا: «**خوانيتو، خوان دييغيتو!**»، فأخذت به الدهشة، ولكنّه لم يرتعب ولم يجزع، بل طفر قلبه فرحًا، وتوقّع حدثًا خارقًا، فتسلّق سفح التلّة خافق الفؤاد، ولكن ساكنًا، مطمئنًّا، سعيدًا.

وعند القمّة ظهرت له فتاةٌ فائقة الجمال والرقّة، واقفةً،

مهيبةً، متألّقةً تألّق شمسٍ مشرقةٍ، وكان الجوّ، من حولها، يموج بنورٍ سرّيٍّ. كلّمته برقّةٍ فائقةٍ، مفصحةً، بكلّ بساطةٍ، عن هويّتها، قائلةً إنّها العذراء مريم، أمّ اللّه الحقّ. لم تكن جاثمةً على عرشٍ مثل السادة الإسبانيّين. وتذكّر، حينئذٍ، أنّ، في ذلك المكان عينه، كان يقوم، قبل مجيء الإسبانيّين، نصبٌ لإلهةٍ تدعى «الأمّ»، ولكنّها كانت مريعة المنظر، مرعبةً بعقدها المؤلّف من أيادٍ مبتورةٍ. ولَكَم كان البون شاسعًا بينها وبين الفتاة التي طالعته، وخاطبته بلغته «الناهوتليّة»، مستخدمةً مصطلحاتٍ ألفها منذ صباه، ولكنّها ارتدت، على لسانها، معاني أعمق وأقوى من كلّ ما عهده آنفًا. وبرقّةٍ دعته إلى الدنوّ منها، فلمّا صار على مقربةٍ منها، أُخِذ بجمالها الفريد، وبمهابتها المنقطعة المثال.

كان زيّها مختلفًا عن زيّ نساء مواطناته، وكانت ثيابها تتألّق تألّق ثوب يسوع، في أثناء تجلّيه على طابور، وكان كلّ ما يحيق بها متجلّيًا، متألّقًا. فالصخرة التي وقفت فوقها استنارت بالنور المشعّ منها، وتلألأت كالزمرّد والجواهر،

والأرض المحيقة بها توهّجت مثل قوس قزح، في كلّ بهائه. حتّى الزهور والأعشاب النابتة في ذلك المكان كانت تبدو كأنّها ريشُ أجمل الطيور، وأوراقها تحاكي الفيروز، والأشواك كانت تلتمع كالذهب.

انحنى «خوان دييغو» أمام السيّدة مفتونًا، وأصغى إلى صوتها العذب، وأقوالها السامية التي تفيض حياةً ونبلاً، وعطفًا، ومنذ لقائه الأوّل هذا بملكة السماء، فُتن بحنانها، ولم يخامرْه شكٌّ بحقيقة هويّتها.

وإنّه ليسرّنا أن نروي ما جرى بين أمّ اللّه وخادمها خوان دييغو، كما رواه «أنطونيو ڤاليريانو»، وهو، على غرار خوان، أزتيكيٌّ صرفٌ، هزّ الحدثُ أركانَ كيانه. كان في الحادية عشرة، عند بدء الحدث. ولّما بلغ السادسة عشرة تعلّم في مدرسةٍ للإخوة الفرنسيسكانيّين اللغتين الإسبانيّة واللاتينيّة. وكان قد بلغ الثامنة والعشرين، عندما توفّي خوان دييغو، وفي هذه الأثناء كان قد زاره مرارًا، واستمع، باهتمامٍ وعنايةٍ وشغفٍ، إلى رواياته عن ظهورات العذراء له، وعمّا دار

بينهما من حواراتٍ، وحفظ، بدقّةٍ، كلّ كلمةٍ منها، ثمّ دوّنها، بكلّ أمانةٍ، واندفاعٍ، وهوًى، فجاءت روايته مضمّخةً بعذوبة الشهادة الأمينة، وطلاوتها، وبسموّ عواطف العذراء، وتقوى وسيطها خوان دييغو. وإليكم تسلسل الأحداث:

بادرت أمّ اللّه خوان بقولها:

«**اسمع، يا أصغر أبنائي، يا خواني الحبيب، إلى أين أنت ماضٍ؟**» فأجاب: «يا سيّدتي، ويا مليكتي، يا آنستي النبيلة، عليّ أن أمضي إلى بيتك المكرّم في مكسيكو تلاتيلولكو، لكي أستمع، هناك، إلى الأقوال الإلهيّة التي يبلّغنا إيّاها كهنتنا، ممثّلو ربّنا».

وحينئذٍ بلّغته السيدة إرادتها بالتحديد، قائلةً:

«**اعلم جيّدًا، وتيقّن في قلبك، أنت، يا أصغر أبنائي، أنّني العذراء، دائمة البتوليّة، القدّيسة مريم، أمّ إله الحقيقة العظمى،**

واهب الحياة، باري الخلائق، ومن به كلّ شيءٍ يحيا،

مالك ما هو قريبٌ ومباشرٌ، ربّ الأرض والسماوات، الذي وُجدنا من أجله.

إنّي أريد، وأرغب رغبةً حارّةً، في أن يُشاد في هذا المكان، بيتٌ صغيرٌ مقدّسٌ لي،

حيث أُظهر الله للجميع، وأمجّده، وأُعلنه،

وأهبه للناس، بكلّ حبّي الذي تأنّس، وبنظرة عطفي التي تجسّدت، وبعوني المتجسّد، وخلاصي الذي صار بشرًا.

لأنّني، حقًّا، أنا أُمّكم العطوف،

أمّك، وأمّ جميع البشر، فهم، على هذه الأرض واحدٌ،

أمّ جميع شعوب البشر، على تنوّعها، الذين يحبّونني، ويناشدونني، ويبحثون عنّي، ويلجؤون إليّ بثقةٍ،

فأنّا أُصغي إلى تأوّهاتهم، كي أجدَ لها حلاًّ، وأعالج بؤسهم، وضيقاتهم، وأشفيَ آلامهم.

ولكي أضطلع بما يقتضيه منّي عطفي، اذهبْ إلى مكسيكو، إلى قصر الأسقف، وبلّغه أنّي مرسلتك أنت، لكي تحيطَه علمًا برغبتي الشديدة في أن يكون لي هنا بيتٌ، وفي هذا السهل هيكلٌ.

وأطلعْه على كلّ ما رأيتَه، وتأمّلتَه بإعجابٍ، وما سمعتَه، ولتملأ قلبَك الثقةُ بأنّي سأقابل مسعاك بثوابٍ، فأمنحك السعادة والهناء،

سيكافأ جهدك وتعبك خير مكافأةٍ، بعد أن تبلّغ إرادتي وأقوالي، فاعلاً كلّ ما يسعك فعله».

فانحنى خوان أمام السيّدة، وقال لها: «يا سيّدتي وملكتي، لكي يتحقّق ذلك سأمضي كي أبلّغ إرادتك وأقوالك، والآن سأغادرك، أنا خادمك الفقير».

زيارة خوان الأولى إلى الأسقف

في الحال، حثّ خوان خطاه صوب مكسيكو، بغية أداء مهمّته، والوفاء بوعده ، وهو يجيل في خاطره الهواجس، إذ كان، كلّما دنا من غايته، تتفاقم خشيته من ألاّ يصدّق الأسقف أنّه، هو، القرويّ الوضيع الجاهل، قد شاهد أمّ اللّه، وكلّمها، وتلقّى منها تكليفًا برسالة. بيد أنّه، فور وصوله إلى المدينة، قصد صرح الأُسقف «دون فري دي زُمرّاغا » (Don Frey de Zumarraga) المعيّن حديثًا، بصفة أوّل أسقفٍ في المكسيك، والمكلّف من قبل ملك إسبانيا بأن يكون «حامي الهنود» في تلك البلاد التي عاث فيها جنود الاحتلال فسادًا وجوْرًا.

بلّغ «خوان» خُدّام الأسقف ومعاونيه رغبته في مقابلته لأمرٍ هامٍّ. ولكنّ هندامه الزريّ أوحى لهؤلاء أنّ الرجل ليس سوى

مستعطٍ، ولم يرغبوا في إزعاج سيّدهم، منذ الصباح الباكر، بمطالبه، فأهملوه، طويلاً، ولكنّهم، حيال صبره وتواضعه، وعقب انتظارٍ متمادٍ، سمحوا له بالدخول، فانحنى وركع أمام الأُسقف، وسارع إلى تبليغه رغبة سيّدة السماء وأقوالها ومطلبها، وأطلعه، بالتفصيل، على كلّ ما رأى، وسمع، وتأمّل بدهشةٍ وإعجابٍ.

استمع الأُسقف إلى كلّ أقواله، وفحوى رسالته، غير أنّه ظلّ مرتابًا بشأنها، فقال له: «ارجع إليّ، مرّةً أُخرى، كي أستمع إليك بهدوءٍ، وكي أستقصي، من البدء، وعن كثبٍ، ما أنت جئت فيه».

تحقّقت، إذن، مخاوف «خوان» الذي كانت أمّ اللّه قد رحّبت به برقّةٍ واحترامٍ، وأولته ثقتها، فانتدبته رسولاً، في حين تعامل معه خدم الأسقف بازدراء، ولم يولِ الأُسقف رسالته تصديقًا.

وانصرف «خوان» حزينًا، عازيًا فشله إلى وضاعة شأنه.

ظهورٌ ثانٍ للعذراء

عاد «خوان» أدراجه إلى قريته، في ذلك المساء عينه، مداعبًا رجاءَ التقاء السيّدة التي كلّفته برسالةٍ إلى الأسقف، علّه يبوح لها بلواعج أساه، ويفسّر لها علّة فشله. وبُعَيْد غروب الشمس، تسلّق التلّة حيث كان قد التقاها في الصباح، ودهش عندما رآها تنتظره في المكان عينه. بدت له فتاةً في ريعان الصبا، ولكنّها تتّشح بوقار ملكةٍ، وبهاء أجمل سيّدةٍ في الوجود. ولّما دنت منه لحظ أنّ قدميها لا تلامسان الأرض المحصبة، بل هي كانت، بالحريّ، ترفرف فوق أديمها، وخرّ ساجدًا أمامها، قائلاً: «يا شفيعتي، ويا سيّدتي، يا ابنتي المدلّلة، يا آنستي النبيلة، لقد ذهبتُ إلى حيث أرسلتِني، كي أُبلّغ إرادتك وأقوالك. وبعد لأيٍ، أُدخلتُ إلى مكتب الأسقف، ونقلتُ له إرادتك وأقوالك، حسبما طلبتِ

منّي. استقبلني الأسقف استقبالاً لطيفًا، وأصغى إليّ بانتباهٍ، ولكنّني أدركت من خلال جوابه، أنّ القناعة لم تنفذ إلى قلبه، وأنّه لم يصدّقني، بل قال لي: «عليك أن تعود ثانيةً، لكي أمحّص من البدء، وعن كثبٍ، غاية زيارتك، ومطلبك، وما ترغب فيه». وقد تبيّنتُ بوضوحٍ، من خلال جوابه، ظنّه أنّي اختلقت كلّ شيءٍ، وأنّ إشادة هيكلٍ لك هنا، ليس طلبًا صادرًا عنك. ومن عساه يصدّق فلاّحًا هنديًّا مثلي، ومن يجسر على الاعتقاد بأنّني رسول ملكة السماء؟

«ولذلك أرجوك، يا شفيعتي، ويا مليكتي، ويا فتاتي، أن تكلّفي شخصًا غيري بتبليغ إرادتك وأقوالك، شخصًا أرفع منّي شأنًا، وشهرةً، وتقديرًا، واحترامًا، وجدارةً بالتصديق. ففي الواقع، أنا لست سوى فلاّحٍ من الجوار، حبلٍ تافهٍ، ذنب حيوانٍ، ورقةٍ مرميّةٍ، أؤمر كما يؤمر حمّالٌ، وأنت، يا فتاتي المدلّلة، يا آنستي، يا سيّدتي ومليكتي، ترسلينني إلى مكانٍ لم آلف الاختلاف إليه، ولا الإقامة فيه.

«سامحيني إن أحزنت وجهك وقلبك، فقد لا أرضيك، وقد أستأهل غضبك، يا سيّدتي، ويا شفيعتي».

وأجابته العذراء، كلّية القداسة، والمبجّلة إلى الأبد:

«اسمع، يا أصغر أبنائي، اعلم جيّدًا، وتيقّن في قلبك، أنّني لست أفتقر إلى خدّامٍ ورسُلٍ يسعني أن أكلّفهم بتبليغ إرادتي وأقوالي، لكي تتحقّق رغبتي،

«ولكن، حقًّا، لا بدّ من أن تذهب، أنت، الأصغر والأحبّ إلى قلبي، وتتكلّم، وأن تتحقّق رغبتي بفضل مساعدتك، وأن تنفَّذَ مشيئتي بواسطتك.

«لذلك أرجوك، يا أصغر أبنائي وآمرك بحزم، أن تمضي غدًا، إلى الأسقف ثانيةً، وأن تعلمه، باسمي، وتطلعه على مشيئتي ورغبتي في أن يُشرع، فورًا، ببناء المعبد، الذي أبتغيه.

«ومرّةً أخرى، قل له إنّني مرسلتك، أنا أمّ اللّه، الحقّ، دائمة البتوليّة، القدّيسة مريم».

وأجاب خوان دييغو: «يا شفيعتي، يا سيّدتي، يا آنستي، أرجو ألاّ أُحزنَ وجهَك وقلبَك. من ناحيتي، قلبي، بكلّيّته، متأهّبٌ للذهاب، بغية تبليغ مشيئتك وأقوالك، ولن أتخاذل

بأيّة طريقةٍ، ولن يتعبني المشوار. أجل سأنفّذ مشيئتك السامية، ولكن قد لا يُصغى إليّ، وإن أُصغي إليّ، فقد لا يصدّقوني. مساء غدٍ، في موعد غروب الشمس، سآتيك بجواب سيّد الكهنة على إرادتك وقولك. أودّعك الآن، وأنت، يا ابنتي المدلّلة، يا آنستي وشفيعتي، وسيّدتي، خذي قسطًا من الراحة».

وعاد «خوان» إلى منزله كي يصيب، هو أيضًا، قسطًا من الراحة، «متواضعًا في نبله، ودودًا في عنفوانه، رقيقًا في قسوته، مكافحًا في تسامحه، وسخيًّا سخاء سيّدٍ، سواءٌ في العوز أو في البحبوحة».

يوم الأحد ١٥٣١/١٠/١٠:
زيارة أُخرى إلى الأسقف

في الغداة، وكان يوم أحد، وإذ كان الليل ما زال باسطًا على الأرض معطفَه، قصد خوان «تلاتيلولكو»، بغية تلقّي التعاليم الإلهيّة، ومقابلة الأسقف. في نحو الساعة العاشرة، اجتمع المؤمنون، واحتفلوا بالقدّاس، ودوّن كلٌّ منهم اسمه، وعادوا إلى منازلهم، فيما توجّه خوان إلى مقرّ الأسقف، وهناك بذل جهودًا شاقّةً كي يحظى بمقابلته، ولمّا تمّ له ذلك، خرّ عند قدميه، وبكى، وبلّغ إرادة العذراء ومطلبها، متوسّلاً أن تكون رسالته موضع تصديق، وأن تؤخذ رغبة العذراء على محمل الجدّ، فيُقام لها هيكلٌ، ويُشاد لها بيتٌ في المكان الذي حدّدته.

أمطر عليه الأسقف وابلاً من الأسئلة، متحرّيًا كلّ أمرٍ، كي

يطمئنّ قلبه، واستوضح عن المكان الذي رأى فيه العذراء، وعن شكلها حينذاك. فروى له خوان كلّ شيءٍ بالتفصيل، مؤكّدًا له أنّها، حقًّا، أمّ الربّ كلّيّة الكمال، أمّ المخلّص، فائقة العطف والقداسة. ولكنّه لم يفلح في تسريب اليقين إلى قلب الأسقف، الذي أعلن أنّ كلام خوان ورسالته ليسا كافيين لإثبات الحقيقة، وصحّة ما يُطلب منه، واقتضى دليلاً يثبت أنّه مرسل السماء. وأفهمه، بواسطة ترجمانه، أنّ عليه تبليغ السيّدة أنّ الأسقف يقتضي دليلاً مقنعًا بأنّها هي، حقًّا، أمّ الله، قبل أن يحقّق مطلبها. وسأل خوان: «يا سيّدي، أيَّ دليلٍ تريد كي أمضي وأطلبه من سيّدة السماء التي أرسلتني إليك؟».

وعندما تبيّن للأسقف أنّ خوان ثابتٌ في موقفه، لا يخامره أيّ شكٍّ، أمره بالانصراف. وانصرف خوان يجرّ قدميه، محبطًا وحزينًا. غير أنّ إصرارهُ ونبرة صدقه كانا قد خلّفا لدى الأسقف تأثيرًا بليغًا. ولكيلا يدع للريبة مكانًا، كلّف اثنين من خدمه الموثوقين بتعقّب خوان، وبمراقبته بدقّة، للتأكّد من المكان الذي ادّعى التقاء العذراء فيه، ومن هويّة

السيّدة التي يقابلها ومن أوصافها، على أن يأتياه بتقريرٍ مفصّلٍ عن كلّ ما يشهدان.

وقام الخادمان بالمهمّة، بكتمانٍ، غير أنّهما، عند بلوغ خوان جسر «تيبياك»، فقدا أثره. كانا موقنين أنّه في مكانٍ ما هناك، ولكنّهما عبثًا بحثا عنه، ولم يعثرا له على أثر. فعادا خائبين، مرهقين، ولكي يموّها إخفاقهما، اتّهماه لدى الأسقف بالخبث والمكر، واقتراحا إغلاق باب الأسقفيّة دونه، مستقبلاً، ومعاقبته أشدّ عقابٍ جزاء خداعه.

ظهور العذراء الثالث

بلّغ خوان السيّدة جواب الأسقف، فقالت له: «**لقد أحسنت صنعًا، يا أكثر أبنائي تواضعًا. عُدْ، غدًا، إلى هنا، يا أصغر أبنائي الحبيب، كي تحمل إلى الأسقف الدليل المطلوب. وهكذا سيصدّقك، ولن يساوره، من بعدُ، بشأنك، أيّ ريبٍ. واعلم، وثِقْ في قلبك، يا أصغر أبنائي، أنّني سأكافئ جهودَك وأتعابَك، وكلّ ما تفعله من أجلي. والآن، امضِ، وسأكون بانتظارك، غدًا، ههنا**».

يوم الإثنين ١٢/١١

نشأ حائلٌ دون التزام خوان بموعده مع العذراء، يوم الإثنين، إذ إنّه، لمّا عاد إلى منزله، مساء الأحد، وجد خاله «خوان بيرناردينو»، وقد صعقه مرضٌ قاتلٌ، يعاني سكرات الموت. وجيء بطبيب مسعفٍ، ولكنّ الطبيب عجز عن شفائه، إذ كان المرض مستعصيًا على قدراته. وطلب منه خاله أن يمضي، في الحال، وفي عزّ الليل، إلى «تلاتيلولكو»، كي يأتيه بكاهنٍ يعرّفه، ويعدّه لميتةٍ صالحةٍ، فقد كان يخالجه يقينٌ بأنّ ساعةَ رحيله قد أزفت، وأن لا أمل له في شفاءٍ.

يوم الثلاثاء ١٢/١٢

يمّم خوان دييغو شطر المدينة، في حلكة الليل، كي يأتي بكاهنٍ. ولمّا دنا من تلّة «تيـپـيياك» (Tepeyac)، ومن الطريق التي تغرب من جهتها الشمس، أي من الدرب الذي ألف انتهاجه صوب المدينة، قال في نفسه: «إن أنا واصلت مسيرتي سالكًا هذا الدرب، ستراني السيّدة، كما ألفت أن تفعل، وستزوّدني بالدليل الذي طلبه الأسقف كي أحمله إليه. ولكن، قبل ذلك، لا بدّ من القضاء على علّة حزننا، وأن أسرع في استدعاء كاهنٍ، فخالي يتألّم، وهو الذي ينتظر».

وحينئذٍ، شرع يلتفّ حول منتصف سفح التلّة إلى أن بلغ جهة شروق الشمس، آملاً ببلوغ مكسيكو، بلا تلكّؤ، متفاديًا

تأخير سيّدة السماء له. كان يُخيّل إليه أنّه، بالتفافه هذا، سيُفلت من تلك التي ترقب بعنايةٍ العالم كلّه، في كلّ مكانٍ. ولكنّه فوجئ برؤيتها تنحدر من قمّة التلّة، حيث سبق له أن التقاها. وسط غمامة نورٍ. كانت محدّقةً إليه، وهي متّجهةٌ نحوه، فأوقفته وقالت له: «**إلى أين أنت ماضٍ، يا أصغر أبنائي، وما هو مقصدك؟ وهل أنت تسعى إلى تجنّب رؤيتي؟**».

فاعتراه مزيجٌ من حزنٍ، وخجلٍ، وذعرٍ، وانحنى أمامها، وحيّاها قائلاً: «يا آنستي، يا فتاتي وسيّدتي، أرجو أن تكوني سعيدةً. لعلّك استيقظت مرتاحةً، وناعمةً بالصحّة، يا شفيعتي. قد أُحزن وجهك وقلبك، ولكن عليّ أن أُحيطك علمًا بأنّ أحد خدّامك المساكين، وهو خالٌ لي، يحيا لحظاته الأخيرة، فقد انتابته علّةٌ خطيرةٌ، كفيلةٌ بالقضاء عليه. ولذلك أحثّ الخطى، كي أصل سريعًا إلى بيتك المقدّس في مكسيكو، وأدعو أحد كهنتنا، محبوبي ربّنا، علّه يسمع اعترافه، ويُعدّه، فنحن وُلدنا من أجل ذلك، أي انتظار ساعة موتنا.

«وفور فراغي من هذه المهمّة، سأعود إلى هنا، كي أحمل إرادتك، وقولك، يا شفيعتي، وآنستي. فاعذريني، واصبري عليّ وقتًا وجيزًا. أنا لا أستطيع أن أخدعك، أنتِ، يا ابنتي الأثيرة، وسأسرع في المجيء غدًا».

أيّة براءةٍ طفوليّةٍ، وأيّة حميميّةٍ، في حواره مع ملكة السماء! إنّها الطفولة التي جعل منها يسوع شرطًا لولوج الملكوت.

وأجابته السيّدة القدّيسة، دائمة البتوليّة:

«اعلم جيّدًا، وثِقْ في قلبك، يا ابني الأثير،

أنّ ما يقلقك، ويهزّ كيانك، ليس بشيءٍ، فلا تدعه يحزن وجهك وقلبك، فلا تخشَ هذه العلّة، ولا أيّ مرضٍ آخر، ولا يُثرْ شيءٌ اضطرابك،

ألستُ أنا أمّك، هنا؟ ألستَ في ظلّي وتحت حمايتي؟

وألستُ أنا نبع فرحك؟ ألستَ طيّ ثنايا معطفي، وفي غمرة ذراعيّ؟

وهل أنتَ في حاجةٍ إلى شيءٍ آخر؟

فلا يحزنْك، إذن، شيءٌ، ولا يسبّبْ لك مرارةً، ولا يقلقك مرض خالك، فهو لن يفضي إلى وفاته، بل اعلم جيّدًا، وثِقْ في قلبك أنّه، الآن، قد تعافى».

(وقد تبيّن لخوان، لاحقًا، أنّ خاله برئ من علّته، فعلاً، في تلك اللحظة بالتحديد).

لدى سماع خوان هذا التأكيد، اطمأنّ قلبه، وغمر العزاء نفسه، فتوسّل إلى السيّدة العذراء أن تزوّده بالإشارة والبرهان الكفيلين بجعل الأسقف يصدّقه.

حينئذٍ أوعزت إليه سيّدة السماء أن يتسنّم القمّة، حيث سبق له أن التقاها، وقالت: «**هناك ستجد أصناف أزاهير شتّى منتشرةً، فاقطفها، واجمعها، واجعل منها أُضمومةً، وائتِ بها إليّ، ههنا**».

وتسلّق خوان السفح حتّى القمّة، حيث أخذته الدهشة، عندما رأى، في كلّ مكانٍ، من تلك التربة الجبليّة الجافّة،

الصخريّة، التي جمّدها الصقيع. زهورًا متفتّحةً، نادرةً، مع أنّها لم تألف النبات في ذلك المكان، وأنّ برد الشتاء كان كفيلاً بإصقاعها. كانت ورودًا زاهيةً، فوّاحةً، عطرةً، ونفيسةً كاللآلئ، مثقلةً بندى الليل، فعكف على قطفها كلّها، وجعل منها باقةً أودعها ثنايا معطفه. من المحقّق أنّ قمّة تلك التلّة لم تكن هي المكان الملائم لنموّ مثل تلك الأزاهير، فتربتها لا تحتوي سوى صخورٍ، وأشواكٍ، وصبّارٍ، وعلّيقٍ. وإن نبتت فيها، أحيانًا، أعشابٌ قصيرةٌ، في ذلك الوقت من شهر كانون الأوّل، فإنّ الصقيع كفيلٌ بعضّها، والقضاء عليها.

وأسرع خوان في الانحدار، كي يقدّم لملكة السماء الأزاهير المنوّعة التي جمعها، فتأمّلتها، وأخذتها بيديها المقدّستين، ثم رتّبتها في ثنايا معطف خوان قائلةً:

«هذه الأزهار المنوّعة هي الدليل، والعلامة التي ينبغي حملها إلى الأسقف.

باسمي قل له أن يرى فيها ما يبتغيه، فيحقّق مشيئتي ورغبتي.

أنت سفيري، وموضع ثقتي. أرجوك ألاّ تفكّ عقدة معطفك، إلاّ بحضور الأسقف. ستريه ما تحمل، وستبوح له بكلّ شيءٍ، وستخبره أنّي طلبت منك تسنّم التلّة، واقتطاف هذه الزهور، وستنبئه بكلّ ما رأيت وما أثار دهشتك وإعجابك، وسيتحوّل قلب سيّد الكهنة، وسيقوم بما يتعيّن عليه فعله، فيقيم لي الهيكل، وفقًا لطلبي».

وفي الحال، انتهج «خوان» درب مكسيكو، حاثًّا الخطى، وكأنّه يطير فوق الأرض، مُفعَمًا فرحًا، مطمئنّ القلب، مردّدًا، في سرّه، أقوال السيّدة العذراء، حريصًا على ألاّ يسلب منه أحدٌ شيئًا من حمله الثمين، الذي أنبتته السماء، وعلى أداء مهمّته خير أداء. وكان أريج الزهور النفيسة يثلج صدره، وأمله في نجاح مهمّته يفعمه سعادةً.

التمس مقابلة الأسقف، ولكنّ الخدم والحرّاس لم يعيروا طلبه اهتمامًا، ولا سيّما أنّ الليل كان ما زال باسطًا على الكون معطفه، وأنّهم ما برحوا يذكرون، بمرارةٍ، ما سبق لذلك الرجل أن سبّبه لهم من إزعاجٍ.

بيد أنّ «خوان» آثر الانتظار، واقفًا، مطرقًا. وتمادى انتظاره. ولمّا تبيّن الخدم أنّ «خوان» عازمٌ على الانتظار، مهما كلّفه ذلك، شدّهم الفضول إلى اكتشاف ما كان يحمل في ثنايا معطفه، الذي كان يتضوّع منه شذًا أخّاذٌ شحذ فضولهم. وخشي «خوان» أن يطرده الخدم إن هو رفض تبيان نوع حمله، فكشف لهم طرف معطفه. ولمّا تبيّنوا أنّه يحمل زهورًا نادرةً، في غير موسمها، متفتّحةً، نضرةً، عطرةً، أخذتهم الدهشة، وحاولوا انتزاع بعضٍ منها، غير أنّ محاولاتهم، التي تكرّرت ثلاثًا، باءت بالفشل، فكلّما مدّوا إليها أيديهم كانت تبدو غير طبيعيّة، وكأنّها مرسومةٌ على المعطف رسمًا، أو مثبّتةٌ عليه بخيطٍ. وحينئذٍ، سارعوا إلى إعلام الأسقف بما رأوا، وبأنّ الرجل الذي سبق له زيارة دار الأسقفيّة مرارًا، راغبٌ في مقابلته، وأنّه ينتظر، منذ فترةٍ طويلةٍ، الإذن بالمثول أمام سيادته. حينئذٍ أدرك الأسقف أنّ الرجل جاء حاملاً الدليل الكفيل بإقناعه، وبحمله على تحقيق مطلبه، فأمر بإدخاله، في الحال.

جثا «خوان» أمام الأسقف، وروى له كلّ ما شاهده من أمورٍ عجيبةٍ، وذكّره، ثانيةً، بالرسالة التي كان يحملها إليه، قائلاً:

«يا سيّدي، لقد نفّذتُ كلّ ما أمرتني به، وكلّمت سيّدة السماء، شفيعتي السامية، وسيّدتي القدّيسة مريم، أمّ اللّه المبجّلة، والتمست منها علامةً قمينةً بحملك على تصديقي، فيقام لها هيكلٌ في المكان الذي هي حدّدته. وقد أطلعتها على وعدي بأن آتيك بعلامةٍ، تؤكّد مشيئتها، وكانت سيادتك قد رغبت في استلامها من يدي.

«وقد تلقّت السيّدة طلبك بعطفٍ، وفي هذا الصباح، إذ كان الليل ما زال مخيّمًا، طلبت منّي أن أقابلك ثانيةً، فذكّرتها بالدليل على مصداقيّة رسالتي الذي كانت قد وعدتني بترويدي به، فاستجابت، في الحال، وأرسلتني إلى قمّة التلّة، حيث سبق لي أن رأيتها، كي أقطف أزهارًا منوّعةً، فقطفتها، وجئتها بها إلى أسفل التلّة، فتناولتها بيديها المقدّستين، وأودعتها، ثانيةً، في ثنايا معطفي، كي أقدّمها

لك شخصيًّا... بمثابة الدليل الذي اقتضيته، كي تؤمن بإرادتها.

«وتصديقًا لأقوالي، ولفحوى رسالتها، ها هي الأزهار، فتفضّل بقبولها».

تساقطت الزهور العجيبة، ومعها سقط الأسقف وجميع الحاضرين راكعين، دهشين مذرّفين الدموع. ولربّما هتف الأسقف، نظير توما: «ربّي، وإلهي!»، عندما شاهد صورة العذراء، كلّيّة الكمال، مريم القدّيسة، مرسومةً على معطف خوان دييغو، كما تظهر الآن في مزار غوادالوپّي، و قطعت عذوبة محيّاها أنفاسه. كانت مغمورةً بأشعّة الشمس، تطأ القمر بقدميها، وتشدّ وسطها بشريطٍ أسود، كما تفعل النساء الهنديات اللواتي ينتظرن مولودًا. فقد كان مخلّص الورى يثوي في أحشائها. لم تكتفِ العذراء بتقديم الدليل الملموس الذي اقتضاه الأسقف، بل إنّها مهرته بتوقيعها، راسمةً صورتها على معطف رسولها.

حدّق الأسقف طويلاً، منعمًا النظر في المشهد الفائق، ويُروى أنّ الأسقف كان، في تلك الأثناء، رازحًا، قلقًا، تحت وقر واقع الجَوْر الصارخ الذي أمعن جنود الفاتحين الإسبانيّين في ممارسته، وأعمالهم اللاإنسانيّة التي نفّرت الهنود المكسيكيّين من دين هؤلاء البرابرة الجُدد، فدأب على توسّل العذراء المساعدة على إبعادهم ومعاقبتهم، واستبدالهم بشهودٍ صادقين لحضارة الحبّ المسيحيّة، ملتمسًا، دليلاً على استجابتها لطلبه، إظهار الورود الإشبيليّةٍ المميّزة، في تلك البقاع الجديدة، وكان ظهور تلك الورود في ثنايا معطف خوان دييغو برهانًا دامغًا على استجابة أمّ اللّه لتوسّله، فجثا وشكر الربّ، وبكى ندمًا على رفضه السابق الإيمان بمشيئة العذراء، وبرغبتها، ورسالتها، وهتف، من أعماق نفسه: «آه! يا أمّ اللّه! إنّ هذا الدليل لأعظم، بلا قياس من كلّ ما توقّعته!». وشاركه بكاء التأثّر خوان دييغو، لأنّ أمّ اللّه تنازلت واختارته رسولاً، ورسمت على معطفه، صورتها، كما ظهرت له على تلّة «تيبياك».

كانت جميع العيون مثبتةً على الصورة المتألّقة المجيدة، التي رسمتها يدٌ إلهيّةٌ، وأمامها جثا جميع الحاضرين، خاشعين، شاكرين، مذهولين. ثمّ نهض الأسقف، وفكّ من عنق خوان عقدة المعطف، الذي أودعه في مصلاّه الخاصّ..

كانت سعادة خوان دييغو تفوق كلّ تخيّلٍ، بعد تبيُّنه أنّ رسالة العذراء قد لاقت، أخيرًا، ما تستأهله من تصديقٍ وترحيبٍ، وأنّ رغباتها قد بدأت تُنفّذ.

وبعد أن كان شخصه موضع ازدراءٍ واضطهادٍ، بات محطّ تقديرٍ واحترامٍ، ولا سيّما من قبل الأسقف الذي تفتّحت عيناه على ما انطوت عليه نفس ذلك الهنديّ الوضيع، من كنوزِ إيمانٍ، وورعٍ، وبساطةٍ إنجيليّةٍ، وثباتٍ لا يتزعزع، وتواضعٍ سحيقٍ، وبراءةٍ طفوليّةٍ، وروحانيّةٍ صافيةٍ. هذه الفضائل، مجتمعةً، أهَّلته لتلقّي الظواهر الفائقة ببساطةٍ، فلكأنّه يحيا في ملكوت السماء، مثل سمكةٍ في محيطها الطبيعيّ، محقّقًا قول يسوع: «أَحمدك، يا أبتِ، ربّ السماء والأرض، لأنّك حجبت هذه عن الحكمة والفُهماء، وكشفتها للأطفال (متّى ١١: ٢٥).

ومكث «خوان»، يومًا آخر، في منزل الأسقف الذي استبقاه، استعذارًا، عمّا سبّبه له من مهانةٍ وعناءٍ، فجاءه بمعطفٍ جديدٍ بديلاً عن ذاك الذي جعلت منه العذراء إيقونةً فريدةً، وأحاطه بعطفٍ أبويٍّ حارٍّ، وأَغدق عليه مظاهر التكريم، وفي الغداة طلب منه أن يريه المكان الذي ترغب سيّدة السماء إقامة مزارٍ لها فيه. فشخص موكبٌ ضمّهما إلى تلّة «تيبياك»، وهناك، فيما كان «خوان» حائرًا في شأن تحديد المكان بدقّةٍ، تفجّر، عند قدميه نبع ماءٍ عطرٍ، أرشده إلى ما كان يبحث عنه.

وفي الحال كُلّف بنّاؤون بإشادة المزار. وتطوّعت ثلّةٌ من مواطني خوان دييغو، وأبناء قريته، لتنفيذ ذلك البناء بطول سبعة أمتار، وعرض أربعة أمتار، وارتفاع ثلاثةٍ ونصفٍ. وقد أُلحقت به حجرةٌ صغيرةٌ لسكن خوان دييغو وخاله اللّذين تولّيا حراسة المزار، ورقعة أرضٍ يستثمرانها لتأمين أوَد عيشهما – وقد اكتمل البناء في غضون أسبوعٍ واحدٍ.

شفاء خال خوان دييغو

أنهى خوان مهمّته، ورغب في العودة إلى منزله، وقد شدّه الشّوق إلى رؤية خاله الذي كان يحتضر عندما غادره كي يأتيه بكاهنٍ، وكانت العذراء، في هذه الأثناء، قد بشّرته بشفائه.

ولم يدعْه الأسقف يعود وحيدًا، بل أمر بمواكبته إلى بيته حيث وُجد خاله معافًى من كلّ وجعٍ وعلّةٍ. ودهش الخال لرؤية الموكب الذي كان يرافق ابن أخته، ويحيطه بأعظم احترام. واستفسر عن سرّ كلّ ذلك، فأطلعه على ما جرى له مع الأمّ السماويّة. وأكّد الخال أنّه، حقًّا، شُفي في تلك اللحظة عينها، التي أعلنت فيها العذراء شفاءه. كان، حينذاك، قد انتهى إلى عتبات الموت، وبات عاجزًا حتّى عن تناول أدويته، وفجأةً غمر غرفته نورٌ مجهول المصدر،

وظهرت له سيّدةٌ فائقة الجمال، تشعّ سلامًا وحبًّا، وفي الحال، أحسّ بالشفاء والعافية يسريان في أوصاله. هو أيضًا، رآها على نحو ما رآها ابن أخته، وقد أنبأته بأنّ على خوان دييغو الشخوص إلى مركز الأسقف في مكسيكو، وأنّه سيطلعه، لدى عودته، على كلّ ما رأى، وكلّ ما جرى. وكانت العذراء قد قالت له إنّ الصورة التي طبعتها على معطف ابن أخته ستدعى «سيّدة البتوليّة الدائمة، القدّيسة مريم في غوادالوپّي».

وجيء بالخال، «خوان بيرناردينو» إلى الأسقف كي يشهد أمامه بما حدث له، واستصحبه الأسقف إلى مصلاّه، حيث أراه صورة العذراء المرسومة على معطف ابن اخته، فأخذه الذهول، إذ رأى فيها صورة السيّدة عينها التي ظهرت له وشفته من علّته. واستبقاه الأسقف مع ابن أخته، لديه، فترةً من الزمن، حتّى تمّ بناء مزار ملكة السماء في «تيپياك».

وأصبح خوان بيرناردينو، وهو في الحادية والسبعين من عمره، شاهدًا مميّزًا لظهور العذراء، وعاش ثلاث عشرة سنة،

بعد الحدث، إلى جانب ابن أخته، على تلّة «تيبياك»، حيث بنى لهما أبناء قريتهما، مسكنًا وضيعًا، على مقربةٍ من مزار العذراء.

ثمّ نقل الأسقف صورة ملكة السماء من مصلّى قصره إلى الكاتدرائيّة، كي يتاح للجميع مشاهدتها. وتحرّكت المدينة كلّها، لمشاهدة الصورة العجيبة، بل الأثر الإلهيّ الفذّ، متأمّلين المعجزة الفريدة، وممجّدين الربّ. وشاكرين لأمّه لفتتها العطوف على بلادهم.

«سيّدة غوادالوپّي»

من المحقّق أنّ تلفّظ «خوان بيرنادردينو» بعبارة «سيّدة غوادالوپّي»، كان له أثرٌ بالغٌ على نفس الأسقف، فلهذه العبارة أصداء لدى مسيحيّي إسبانيا.

فمن عهدٍ مغرقٍ في القدم، أَلِف الإسبانيّون تكريم سيّدة «غوادالوپّي». ففي عام ٥٩٠ انتُخب الراهب غريغوار الذي كان ممثّلاً للبابا لدى إمبراطور بيزنطية، حبرًا أعظم. فجاء إلى روما بتمثالٍ صغيرٍ للعذراء، صمده في مصلاّه الخاصّ، وكان يصلّي أمامه كلّ يوم. وفي عهد بابويّته انتشر وباء الطاعون في روما، فحمل البابا غريغوار ذلك التمثال، وطاف به، على رأس موكبٍ حاشدٍ، في كلّ أحياء المدينة. وبعد أن رتّلت الجوقات المختلفة العديد من الأناشيد، وختمها البابا بنشيدٍ، سُمعت جوقةٌ من الملائكة تصدح في الجوّ بنشيدٍ لملكة

السماء، ردّ عليه الحبر الأعظم بهتاف «صلّي لأجلنا». وعلى إثر ذلك زال وباء الطاعون، واستعاد تمثال العذراء مكانه في مصلّى البابا غريغوار.

ثمّ اعتزم ذلك البابا عقد مجمعٍ، وأنفذ دعواتٍ إلى مختلف أساقفة العالم، ومنهم «ليياندر»، رئيس أساقفة إشبيلية. وإذ تعذّر على هذا الأخير تلبية الدعوة، كلّف بالمهمّة أخاه إيزيدور، الذي خلفه، لاحقًا، على رئاسة أسقفيّة إشبيليا. وقد استقبل البابا الأسقف إيزيدور بحفاوةٍ بالغةٍ، وبعد أن تخشّعا، معًا، في مصلّى البابا الخاصّ، استوضح الحبر الأعظم عن الأوضاع الدينيّة في إسبانيا، فأفاده ضيفه أنّ الملك، الذي كان ما زال متأثّرًا بالهرطقة الأريوسيّة، قد نفى ثلاثة أساقفةٍ، وأمر بقتل ابنه لأنّه ارتدّ عن الأريوسيّة، واعتنق الإيمان القويم. بيد أنّه عندما اعتلّ، وأشرف على الموت، تاب، واعترف بضلاله أمام ابنه الآخر، الذي حرّضه على اعتناق الإيمان الكاثوليكيّ.

واستبقى البابا الأسقف إيزيدور، فترةً، في قصره، ولمّا

أزفت ساعة رحيله، كلّف وفدًا بمواكبته، وزوّدهم بهدايا إلى رئيس أساقفة إشبيليا «لياندر»، شملت صندوقًا ثمينًا، يحتوي تعليقًا على سفر أيّوب، وعلى نصوصٍ إنجيليّةٍ، كتبها البابا نفسه، وأشياء تقويّةً، وصليبًا، كما ضمّ تمثال العذراء الذي أنقذ روما من وباء الطاعون.

وفي أثناء عودة الأسقف إيزيدور وموكبه، إلى إسبانيا، هبّت عاصفةٌ هوجاء، كادت تودي بالمركب الذي كانوا يستقلّونه. وحينئذٍ بادر كاهنٌ إلى فتح الصندوق، وأشهر تمثال العذراء عاليًا، فانتشرت فوق المركب شموعٌ مشتعلةٌ، وسكنت العاصفة، وتلقّى رئيس الأساقفة «لياندر» ذلك التمثال بفرحٍ غامرٍ، وأحلّه مكانًا مميّزًا في مصلاّه.

وكرّت الأيّام، ونشب خلافٌ بين الأمير رودريغو، الذي لم يدمْ ملكه سوى سنةٍ واحدةٍ (٧١٠–٧١١) وأحد قادة جيشه الذي استعان بجيش المسلمين على محاربته. وخشي بعض الكهنة على المقدّسات التي كان الحبر الأعظم قد أهداها للأسقف «لياندر»، فأنقذوا الصليب، وتمثال العذراء،

وذخائر أخرى ثمينةً، وفرّوا بها صوب ضفاف نهرٍ يُدعى «غوادالوپّي»، تحيط بها تلالٌ، اكتشفوا في سفح إحداها منسكًا وقبرًا من رخام، أودع فيه رفات قدّيسٍ إسبانيٍّ. وأحدث الكهنة حفرةً في ذلك المنسك، أخبأوا فيه الصليب وتمثال العذراء، مع رسالةٍ شرحوا فيها قصّة ذلك التمثال، وما أجراه من معجزاتٍ على يد البابا غريغوار، مدّعين أنّ التمثال من نحت القدّيس لوقا، ثمّ موّهوا المكان بركام أحجار.

وكرّت السنون، وفي عام ١٣٢٨ ظهرت السيّدة العذراء لراعٍ كان يسوم أبقاره في مكلإٍ يدعى «مرعى غوادالوپّي». وتبيّن له، بغتةً، غياب إحدى أبقاره، فراح يبحث عنها طيلة ثلاثة أيّامٍ، متوقّلاً التلال، هابطًا الوديان، إلى أن وجدها نافقةً على مقربةٍ من نبع ماءٍ. وتفحّصها عن كثبٍ، فلم يلحظ عليها أثرًا لجرحٍ أو لضربة مخلب ذئبٍ، فأحدث، بمديته، إشارة صليب عليها، تمهيدًا لسلخها، وفقًا للمألوف، ولكنّه فوجئ بالبقرة تنهض فجأةً. وحينئذٍ، ظهرت له العذراء، وقالت له: «**لا تخف، فأنا أمّ اللّه، التي نال**

الجنس البشريّ، بواسطتها، الفداء. خذ البقرة، وضعها مع الأخريات، وستأتيك منها أبقارٌ كثيرةٌ، إكرامًا لظهوري هذا. وبعد إلحاق هذه البقرة برفيقاتها، عد إلى قريتك، وقل للكهنة، ولعامّة الناس الذين ستلتقيهم، أن يأتوا إلى هذا المكان الذي ظهرتُ لك فيه، وأن يحفروا، فيعثروا على صورةٍ لي».

وروى الراعي لأصدقائه ما حدث له، فسخروا منه، ولكنّه أراهم علامة الصليب على جلد البقرة فصدّقوه. وعاد إلى بيته، فوجد زوجته منتحبةً، لأنّ ابنهما مات. فكفكف دموعها قائلاً: «سأَعِدُ السيّدة العذراء، بجعل ابننا خادمًا لبيتها، وهي ستعيده إلى الحياة». وفي الحال هبّ الولد ناهضًا، وقال: «فلنتأهّب، يا أبتاه، للذهاب إلى سيّدة غوادالوپّي». وكانت هذه المعجزة التي تمّت على مرأى كثيرين، دعمًا لمصداقيّة ظهور العذراء للراعي.

ثمّ نفّذ الراعي مهمّته لدى الكهنة، وبلّغهم رغبة العذراء في بناء كنيسةٍ صغيرةٍ في مكان ظهورها، وفي تقديم وجبة

طعامٍ، كلّ يومٍ، لجميع الفقراء الذي يؤمّون المكان، كما بلّغهم وعد العذراء بأنّ مواكب حجّاجٍ من كلّ صوبٍ ستتوافد إلى ذلك المزار، تجتذبهم المعجزات الكبرى التي ستجريها في كلّ أصقاع العالم، وأنّ مدينةً كبرى ستنشأ على تلك الجبال.

في البدء، أُقيم، في ذلك المكان، كوخٌ، تطوّع الراعي وزوجته وابنهما لحراسته. ثمّ وافى مرضى نالوا الشفاء بمجرّد لمسهم تمثال العذراء، وسرعان ما ذاع خبر تلك الأشفية في كلّ أرجاء إسبانيا. وفي عام ١٤٣٠، شيّد هناك الملك ألفونس الحادي عشر ديرًا، إثر انتصاره في معركةٍ، استغاث، من أجلها، بسيّدة غوادالوپّي، وسرعان ما نشأت بجوار الدير مدينةٌ، بفضل التبرّعات التي تدفّقت، لهذا الغرض، من قبل الملك والأمراء والوجهاء، وقادة الجيش.

لا عجب، إذن، إن كان مجرّد لفظ «غوادالوپّي»، عاملاً أقنع السلطات الكنسيّة في المكسيك، بمصداقيّة خوان دييغو، وخاله خوان بيرناردينو.

وأيًّا كان مصدر هذه التسمية، فمن المؤكّد أنّها أقامت

جسرًا بين بلدٍ أوروبيٍّ، والعالم الجديد، بين عالَمَيْن يجثم كلٌّ منهما على أحد شواطئ المحيط الأطلسيّ، وإن فصلت بينهما فوارق شاسعةٌ.

لقد وحّدت «سيّدة غوادالوپّي» حضارتَيْن وشعبَيْن، على تكريمٍ مشتركٍ لأمّ اللّه.

ولا بدّ من التنويه بأنّ الأسقف «زمرّاغا » كان من أشدّ المكرِّمين لسيّدة غوادالوپّي، في إسبانيا، ولطالما حجّ إلى كنيستها، وصلّى لها بحرارةٍ. ومن ثمّ كان لطلب العذراء إطلاق اسم «سيّدة غوادالوپّي» على العذراء التي ظهرت لخوان دييغو، حسبما بلّغت خال هذا الأخير، وقعٌ بليغٌ على نفسه، ودافعٌ ضاغطٌ إلى مسارعته في بناء المعبد الذي طلبته.

صورة سيّدة غوادالوپّي

طولها من الرأس حتّى القدمين ١,٤٣ مترٌ محيّا السيّدة بيضاويٌّ، ولونه رماديٌّ، ضاربٌ إلى الزهريّ. العينان كاملتا القسمات، عسليّتا اللون، تعكسان صفاءً وطهرًا فاتنين. الأنف يتّصف بكمال الشكل، والشفتان رقيقتان قرمزيّتان. على الفم ترتسم بسمةٌ ساحرةٌ منقطعة النظير. المحيّا الرائع محاطٌ بشعرٍ أسود، عندما يُنظر إليه عن بعدٍ، يبدو كأنّه بقعةٌ داكنةٌ، ولكنّه، من قريبٍ، يبدو كالحرير...

الجلباب الواسع الذي ترتديه السيّدة، والذي يتدلّى حتّى القدمين، عبر ثنياتٍ رقيقةٍ، يتميّز بلونٍ زهريٍّ لم يتمكّن أحدٌ من تقليده. إنّه لون وردٍ مجفّفٍ، ولكنّه متألّقٌ. وهو موشًّى برسومٍ ذهبيّةٍ، وينفرج عن القدم اليمنى التي يسندها ملاك. لون معطفها أزرق ضاربٌ إلى الخضرة، كما تبدو مياه البحر،

في بعض الأحيان، يُغطّي جسمها، بخَفَرٍ، هابطًا من أعلى رأسها في ثنياتٍ عشوائيّةٍ، مظهرًا حاشيةً ذهبيّةً انتشرت عليها سبعٌ وأربعون نجمةً ذهبيّةً.

تطأ العذراء هلالاً داكنًا، ويسند كلّ ذلك ملاكٌ باسطٌ جناحيه، بهيّ الطلعة، يوحي ببراءة الطفولة، وبالسعادة والمجد.

وتضيء وجه العذراء شمسٌ تتراوح ألوانها بين الأحمر والنيليّ، صابغةً غماماتٍ رقيقةً، ثمّ تتحوّل إلى برتقاليّةٍ وصفراء، فبيضاء متألّقةٍ، وتكوِّن لها خلفيّةً رائعةً، ينبعث منها مئةٌ وتسعةٌ وعشرون شعاعًا ذهبيًّا تحيق بها.

عذراء الصورة تبدو فتاةً هنديّةً جميلةً، وفي الآن عينه، تذكّر بتلك التي وصفها الإنجيليّ يوحنّا في رؤياه: «امرأةٌ ملتحفةٌ بالشمس، وتحت قدميها القمر، وعلى رأسها إكليلٌ من اثني عشر كوكبًا، وهي حبلى...».

إنّها أجمل من إيقونةٍ، وكلّما أمعن الناظر في تأمّلها، ازداد

بها افتتانًا، وإعجابًا ببساطتها وجمالها، وعكسها لصورة الله، فهي تبعث انطباعًا مدهشًا بحضورٍ لا تبعث مثله أيّة لوحةٍ أُخرى. فيها ينبض سرٌّ يفتن، وقوّةٌ داخليّةٌ تنعش النفس، وتتجلّى روعةٌ تنفذ إلى الأعماق؛ ومنها يشعّ حضورٌ إلهيٌّ غامرٌ، ورقّةٌ تلطّف قسوة المحيط، وتذيب القلب. وكلّما أَمعن المشاهد في تأمّل محيّا العذراء، دهش لما ينبعث منه من رقّةٍ، وعذوبةٍ، وحبٍّ، وإنسانيّةٍ، وبين لحظةٍ وأُخرى، يبدو أنّ ألوان الوجه وقسماته تبدّلت، وأسفرت عن تعابير جديدة. ومن يتأمّلها، من مسافةٍ ما، يتلقّى تأثيرًا غريبًا، حيث يمتزج الوقار بالفرح، والسمة الهنديّة بالسمة الأوروبّيّة، وسمرة البشرة الضاربة إلى الخضار، ببياضها.

إنّها معجزةٌ مستمرّةٌ. وكلّما تطوّرت التقنيّات، أسفرت عن وجوهٍ جديدةٍ من أسراره وخفاياه.

عن تلك الصورة قال البابا بيّوس الثاني عشر: «إنّ ريشةً ليست من هذا العالم قد رسمت إحدى أعذب الصور، التي عجزت عوامل الاهتراء عن النيل من سلامتها».

وفيها قال الرئيس الأميركيّ هاري ترومان: «يا لها من صورةٍ رائعةٍ! كم هي مؤثّرةٌ، فاتنةٌ، وباعثةٌ لأحاسيس يتعذّر وصفها! لقد أدركتُ، وأنا أتأمّلها، سرّ ما تحاط به من إيمانٍ وتكريمٍ».

وقال البابا يوحنّا بولس الثاني: «إنّ صورة سيّدة غوادالوپّي تجتذبني، فمحيّاها يفيض حنانًا وبساطةً، وهو يدعوني...».

إنّها تفيض رقّةً، ومحبّةً، وحنانًا.

وحسبها إعجازًا أنّها أسهمت في ارتداد شعبٍ بكامله إلى رسالة يسوع، واعتناقه القيم المسيحيّة، في عالمٍ، يبحث، قلقًا، عن معنًى لحياته. لقد أحدثت صورة سيّدة غوادالوپّي ما يشبه عنصرةً، وحلول الروح القدس حلولاً شاملاً، أتاح لألوف الهنود الوثنيّين معرفة الله الحقّ، ودفعهم إلى التخلّي عن أنصابهم، وضحاياهم الدمويّة، وخرافاتهم، وتقاليدهم الباطلة.

ولا مراء أنّ ما برهنت عنه العذراء من عطفٍ على شعب

المكسيك قد حدا بالعديد من أفراده الوثنيّين إلى اعتناق المسيحيّة بفرحٍ واندفاعٍ.

ففي الجلجلة كان الربّ قد رسم جسده على كفنٍ، وفي المكسيك، رسمت العذراء، أمّ الربّ، صورتها على معطف الهنديّ المكسيكيّ خوان دييغو.

وما برح معطف خوان دييغو الذي رسمت عليه ريشةٌ سماويّةٌ صورة سيّدة المكسيك، يُعدّ معجزةً كبرى، في كلّ الأزمنة، وما انفكّت الدراسات الدقيقة المستندة على التقنيات الحديثة، تسفر كلّ يومٍ، عن ظاهرةٍ من ظواهره المدهشة، وعن سرٍّ من أسراره المذهلة، أو عن ملمحٍ من ملامحه المستعصية على التفسير، وعن وجهٍ قشيبٍ من وجوه الإعجاز الكامنة في تلك الآية الفريدة التي لا يضاهيها سوى كفن يسوع المودع في مدينة تورينو.

فهذا المعطف منسوجٌ من موادّ بدائيّةٍ مستخلصةٍ من أشجار الصبّار، التي لا تقاوم عوامل الاهتراء أكثر من عشرين سنة. وقد اتّضح أنّ أنسجةً مصنوعةً من موادّ مماثلةٍ لموادّه لم تصمد

طويلاً في وجه عوامل الاهتراء. غير أنّ معطف خوان دييغو ما زال محافظًا على سلامته، بعد نحو خمس مئة سنةٍ، مع أنّه ظلّ معرّضًا للتأثيرات المدمّرة، ردَحًا طويلاً، متحدّيًا سنن الطبيعة، وأذى البشر. فقد بقي بلا أيّة وقايةٍ، مدى ١١٦ سنةً، أي حتّى عام ١٦٤٧، عندما أرسل رجلٌ من إسبانيا قطعتين من الزجاج لوقايته، استُعيض عنهما بزجاجٍ من قطعةٍ واحدةٍ عام ١٧٦٦. ولا مفرّ من التنويه بالعوامل المناخيّة المتمثّلة في الرطوبة المفرطة السائدة في المكسيك، والأدخنة، وأشعة الشمس، فضلاً عن آلاف الشموع المشعلة على مقربةٍ منه، وعن لمس ملايين الأيدي المتبرّكة به، والشفاه المقبّلة له، وفضلاً عن تأثير الغبار، والحشرات والقوارض. ولا مندوحة عن الإشارة إلى أنّ آثارًا أخرى عديدةً في شتّى أقطار العالم لم تنجُ من عبث الزمن، رغم إحاطتها بوسائل حمايةٍ معقّدةٍ.

ومن جانبٍ آخر، ينطوي رسم الصورة على بواعث مدهشةٍ لا تحصى. فهي تتجلّى على وجهَي القماش بالألوان ذاتها، وبالوضوح عينه. وقد دلّت الأبحاث على أنّ الرسم تمّ مباشرةً، بمعزلٍ عن استخدام أيّة مادّةٍ أساسيّةٍ عضويّةٍ، كما

يحدث، عادةً، في كلّ رسمٍ. وقد بيّن الدكتور «كاهلاهان» الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء، عام ١٩٣٦، أنّ الألياف التي طُبعت عليها صورة السيّدة العذراء، لا تحتوي أيّة مادّة صابغةٍ، صنعيّةً كانت أو طبيعيّةً، معدنيّةً أو نباتيّةً أو حيوانيّةً، وصرّح أنّ لا وسيلة لتفسير طبيعة الأصبغة المستخدمة للثوب الزهريّ، والوشاح الأزرق، والوجه واليدين، ولا ثبات الألوان، ولا تألّقها، بعد مرور عدّة قرون، كان عليها أن تفسد في خلالها. وأضاف:

«بقدر ما أعلم هذه الصورة هي معجزة. وكانت دراستي لها هي الخبرة الأشدّ إثارةً في حياتي، إنّي أومن بالتفسيرات المنطقيّة إلى حدٍّ ما. ولكن ما من تفسيرٍ منطقيٍّ للحياة. يمكن تجزيء الحياة إلى ذرّاتها. ولكن ما الذي يحدث بعد ذلك؟ حتّى أنشتين يجيب: «الله».

وتمثّل ألوان تلك الصورة سطحًا مستويًا مثل سطح صورةٍ فوتوغرافيّةٍ، ولكأنّ النسيج قام بدور فيلمٍ فوتوغرافيٍّ، وتلقّى مباشرةً الصورة واللون على كلّ خيطٍ من خيوطه. ومع أنّ

المعطف مؤلّفٌ من قطعتين موصولتين بواسطة خياطة في وسطه، جاءت الصورة وحدةً متكاملةً مستويةً على كلّ أجزائه، من غير أيّ فاصلٍ، وكأنّها من فعل تصويرٍ ضوئيٍّ مجهول المصدر، علمًا بأنّ هذا النمط من التصوير لم يكن معروفًا في ذلك العهد.

وفي عام ١٩٨١، التقط خبيران من الناسا مئاتٍ من الصور لمعطف خوان دييغو، مستخدمين الأشعّة تحت الحمراء، وتحت البنفسجيّة، وقد استخلصا أنّ سطح الصورة المرسومة عليه، لم يُظهر أيّ تصدّعٍ أو جفافٍ، كما يحدث للوحات المرسومة بأصباغٍ. وقد أظهر بحثهما، أيضًا، أنّ اللون الأزرق، في الصورة، هو نصف شفّاف، وغير معروفٍ في عالم الأصباغ، وأنّ اللون الزهريّ يستعصي على الشرح، وأنّ ألوان الوجه واليدين تتغيّر حسب ما يُدنى من الصورة أو يُبتَعد عنها.

وقد حافظت ألوان الصورة على نضارتها، رغم كلّ المؤثّرات السلبيّة، ولا سيّما إن اعتبرنا أنّ من شأن شمعةٍ

واحدةٍ مشعلةٍ إنشاء إضاءةٍ تتخطّى ستّ مئة ميكروات، وهي كفيلةٌ بإلحاق أذًى بليغٍ بألوان أيّة لوحةٍ، مع العلم أنّ ملايين الشموع ما فتئت تُشعل أمام الصورة، على كرّ السنين.

وقد حاول علماء تقليد النسيج الذي صُنع منه معطف خوان دييغو، ورسم الصورة التي طُبعت عليه بألوانٍ مماثلةٍ، وأُحيطت هذه النسخة بكلّ وسائل الحماية المتطوّرة، ومع ذلك، وفي غضون سنواتٍ معدوداتٍ، فسدت الألوان، وشرع النسيج يتلف.

ومن دلائل صمود تلك الصورة العجيبة أنّ عاملاً كان، في عام ١٧٩١، دائبًا على تنظيف إطارها، فأفلتت منه قطراتٌ من حامض النترات، انسابت على جانب الصورة الأيمن. والمعروف عن هذا الحامض أنّه يأكل الجلد، والنحاس، والفولاذ، ويثقبها جميعًا، وكان من شأنه إتلاف النسيج في ذلك المكان، ومع ذلك لم يحدث أيّ تلفٍ، أمّا البقع التي خلّفتها المادّة الكيميائيّة، فقد زالت تدريجيًّا.

وبتاريخ ١٩٢١/١١/١٤ كلّف أعداءٌ للدين عاملاً بوضع باقة زهورٍ تحت الصورة وكانوا قد أخبأوا، في داخلها، قنبلةً، سبّب انفجارها أضرارًا جسيمةً، إذ تطايرت، فتاتًا، أدراج الهيكل الرخاميّة، وتحطّمت الشمعدانات والمزهريّات، وزجاج نوافذ الكنيسة، وطال التحطيم زجاج البيوت المجاورة، والتوى صليبٌ نحاسيٌّ كان فوق الهيكل، ومع ذلك لم تُصب الصورة، ولا زجاجها الواقي، بأيّ أذًى.

هذا، وقد اكتشف علماء وأطبّاء، في عيني صورة عذراء المكسيك، صورًا لخوان دييغو، وللأسقف، ولأشخاصٍ كانوا معهما حين بسط رسول العذراء معطفه المملوء زهورًا تفتّحت في غير موسمها، وظهرت صورة أمّ اللّه مطبوعةً عليه. وقد لاحظ أطبّاء عيونٍ فحصوا الصورة العجيبة عن كثبٍ، أنّ عيون العذراء في هذه الصورة تتأثّر بالضوء، عندما يسلّط عليها، وكأنّها عيونٌ حيّةٌ.

واتّضح، أيضًا، لعلماء فلكيّين أنّ النجوم المبثوثة على جوانب صورة العذراء، تعكس وضع الكواكب كما كانت

تشاهد في المكسيك، صباح الحادي عشر من كانون الأوّل ١٥٣١، في نحو الساعة العاشرة وأربعين دقيقةً...

وقد أُسّس «مركز دراسات سيّدة غوادالوپّي» يضمّ علماء وخبراء في شتّى الميادين، وهم عاكفون على اكتشاف الأسرار الكامنة في الصورة التي طبعتها يدٌ سماويةٌ على معطف خوان دييغو.

ماذا عنى الحدث للأزتيكيّين؟

إنّه رسالةٌ خطيرةٌ موجّهةٌ لهم.

فالعذراء لم تكتفِ بالظهور لواحدٍ منهم، معبّرةً، من خلاله، عن رفيع شأنهم في نظر اللّه، ولم تقتصر على مخاطبتهم بلهجتهم الناهوتليّة، مؤكّدةً أنّ لكلّ لغةٍ، ولكلّ إنسانٍ، شأنًا عظيمًا لدى اللّه. بل استخدمت العذراء، أيضًا، رموزهم، فالزهور وزقزقة الطيور، ترمز، عند الأزتيكيّين، إلى سعادة الآلهة ولغتهم. ففي ثقافتهم «الزهور والغناء» يعنيان كلّ شيءٍ: الحقيقة، والجمال، والفلسفة، والشعر، والاتّصال باللّه.

وقد استخدمت أمّ اللّه أسلوب تدوين الأزتيكيّين لتاريخهم، بطبعها صورتها وما انطوت عليه من رموزٍ، على

نحو ما هم كانوا يعبّرون بالصوَر عن بنات أفكارهم. فقرأوا فيها ما لم يستطع الإسبانيّون قراءته، ورأوا، في صورتها الحيّة، تعبيرًا ساميًا، متواضعًا، رقيقًا، ودودًا، تعبير وجه أمٍّ عطوفٍ وحاميةٍ. نظرتها الحانية تعني أنّها تهتمّ بمن ترمقه، ولن تغفل عنه، ولذلك تذيب هذه النظرة أكثر القلوب قسوةً.

إنّها تنتصب في وجه الشمس، مثبتةً أنّها أعظم من الآلهة المزيّفة التي تكسفها بنورها. والقمر الذي تطؤه بقدميها يعني أنّ إلهة القمر المزيّنة بالأفاعي والإلهة الأفعى ليستا شيئًا، حيالها، فهي فوق هذا العالم. ويدلّ معطفها السماويّ الموشّح بالنجوم على منشئها السماويّ.

ثوبها الذي يحاكي ثياب الأميرات يشير إلى محتدها الملكيّ، أمّا زنّارها وثوبها العريض، فيشيران إلى حبلها. وكلّ شيءٍ في هندامها يوحي للهنود بأنّها ملكة الكون التي ستلد الشمس. وإذ هم ينحنون أمامها، فإنّما هم يعبدون الولد الثاوي في أحشائها. محور الصورة هو الشمس التي تشقّ، بأشعّتها، السحب، وتوحي بأنّ الله يأتي من خلال الغيوم

والظلمة، وهو شمسٌ لا تبهر. ومن قلب هذه الشمس، تبرز سيّدةٌ جميلةٌ، تبدو أشعّة الشمس منبعثةً من جسدها، كما لو كانت مشبعةً بها، ومشعّةً بنورها. وهي تقف فوق هلال قمرٍ، أعظم شأنًا من أكبر آلهتهم. وتعني قدماها اللتان تطآن مصباح الليل، أنّها متسلّطةٌ على قوى الظلام الشرّيرة. ووسَطُ القمر يعني مكسيكو، فهذه المدينة تحتلّ مركز أميركا الجغرافيّ. وهذا، أيضًا، دليلٌ على رفعة شأن هذه المدينة.

معطف العذراء حيث تمتزج الزرقة بالخضرة، وتنتشر ستٌّ وأربعون نجمةً، ترمز إلى التحافها السماء المكوكبة، وتدثُّرها الليل. هذا المعطف يعبّر عن ملكها وعظمتها. فما عليهم أن يخشوا القوى الصغرى الوبيلة، إذ إنّ هذه السيّدة هي أسمى من كلّ سيادةٍ. جلبابها الزهريّ تكسوه الزهور التي ترمز إلى روعة الفردوس. وسعادة السماء تنسحب رسومًا رائعةً على ثوبها الطويل.

من تأمّلهم لهذه الصورة أدرك الأزتيكيّون أنّ العذراء وُجدت، حقًّا، على كوكبنا. فهي تحاكي فتاةً جميلةً، وهي

مستغرقةٌ في تأمّل الألوهة. ليست إلهةً، لأنّها تضمّ يديها في وضعيّة صلاةٍ وعبادةٍ، أمام اللّه العظيم الوحيد، صلاة توسّلٍ وتشفّعٍ بهم، ولأنّ وجهها مطرقٌ أمام الجلالة التي تتخطّاها، وتتهيّب التحديق إليها مواجهةً.

تواضعها السحيق، وعذوبتها الفائقة أذابتا قلوبهم. لا شيء فيها سلطويٌّ، مسيطرٌ، مريعٌ، مخيفٌ، كما كانت توحي رسوم آلهتهم القديمة. وهي، بلون بشرتها السمراء تشبه فتاةً أزتيكيّةً رائعة الجمال، بسيطةً بساطة ولدٍ، ومهيبةً بهاء أميرةٍ. وهي بجمعها، في محيّاها، سُمرة الأزتيكيّين وبياض الإسبانيّين تبدو كأنّها لا تنتسب إلى جنسٍ بذاته، بل تنتج، في الوحدة والمساواة، جنسًا جديدًا، وتقرن أنبل ما في الثقافتين الأزتيكيّة والإسبانيّة، من جمالٍ وعاطفةٍ، وحسٍّ دينيٍّ وصوفيٍّ.

بطبعها صورتَها على معطف خوان دييغو، طبعت العذراء ذاتها في قلب الهويّة المكسيكيّة.

شيءٌ، في هذه الصورة، كان يجتذب الأزتيكيّين،

ويحدّثهم عن عطف اللّه، وعن رحمته الجمّة، وحبّه الأموميّ. وقد اتّضح لهم أنّ الولد الشمس، الجالس على ذراع الأمّ العذراء، سيكلّمهم عن اللّه، وسيعمل عمله، فهو يسوع الذي بشّر به المرسلون، ووهب حياته على الصليب لكي يُغدق الحياة على من يسمعون تعاليمه ويعملون بها، فيحلّ عليهم الروح القدس، ويتألّهون.

لقد قرأ الأزتيكيّون، في ظهور العذراء لواحدٍ منهم، وعدًا بالسعادة، وتأكيد حبّ اللّه لهم ولجميع خلائقه بلا استثناءٍ، وتوسّموا في هذا الظهور بشارةً بولادة ثقافةٍ مكسيكيّةٍ حافلةٍ بالرجاء، حاملةٍ رسالة تضامنٍ وعزاءٍ وفرحٍ وتناغمٍ، لم يعهدوا لها مثيلاً، منبئةً بعلاقةٍ جديدةٍ بين اللّه والبشر. وكان لمظهر العذراء المكسيكيّ تأثيرٌ عميقٌ.

ولا جرم أنّ ذلك الظهور قد أعتق المكسيكيّين من شعور المهانة والدونيّة، وأولاهم ثقةً بذواتهم، وبدّل، إلى حدٍّ بعيدٍ، نظرة الإسبانيّين إليهم، التي كانت تتّسم بالتعالي والاستكبار. وقد كتب أحد المكسيكيّين بكثيرٍ من الاعتزاز:

«لم يكن بوسع وطننا الاعتداد بمنشإٍ أسمى من منشئه هذا، فقد وُلد من أحشاء مريم، كلّيّة القداسة، وتجلّى من خلال وجهها الكريم، بلونه الحنطيّ الذي لا يشير إلى وجه امرأةٍ إسبانيّةٍ، ولا إلى وجه امرأةٍ هنديّةٍ، ولكنّه يعلن معجزة ولادة جنسٍ جديدٍ، مختلطٍ، مولودٍ من اتّحاد إسبانيا الكاثوليكيّة بقوم الأناهواك».

انتشارٌ

بعد مضيّ أربعة عشر يومًا على ظهور السيّدة العذراء، شُيّد لها، في مكان ظهورها، على تلّة تيپياك، مزارٌ، نُقل إليه معطف خوان دييغو الذي خلّدت عليه أمّ اللّه صورتها.

وكان خوان دييغو وخاله قد تخلّيا عن كلّ ممتلكاتهما، وأقاما في منسكٍ بجوار المزار يحرسانه، وسرعان ما تقاطر إلى ذلك المكان حشودٌ من كلّ لونٍ ولغةٍ، ومن كلّ حدبٍ وناحيةٍ. وكان خوان دييغو يروي، بلا كَلَلٍ، ما شاهد وسمع، ويُسيل إلى النفوس أقوال السيّدة العذراء وحبّها، مستمدًّا من هذه المهمّة سعادةً غامرةً. وقد غدا للكثيرين، ولا سيّما من أبناء قريته، ملاذًا، وقدوةً ومنارةً. فهم يبوحون له بهمومهم، ويوكلون إليه نواياهم، كي يقدّمها، ويدعمها لدى أمّ اللّه. وهو كان يصغي، ويتعاطف، ويشدّد العزائم بالكلمة الطيّبة،

والتضحية السديدة، ويقتسم مع بني قومه ما لقّنته إيّاه الأمّ السماويّة، وما تعلّمه من المرسلين، وما غذّته به تأمّلاته. وقد لمس كثيرون لديه، حضورًا سرّيًّا فائقًا ومنعشًا، وإشعاعًا نفّاذًا لا يقاوَم، نابعًا من العذراء، ومن صورتها العجيبة، ويستمدّون من محاورته فرحًا لم يعهدوا لطعمه مثيلاً، قطّ.

ولا عجب إن غدا «خوان» للعديدين دربًا إلى يسوع وأُمّه، وإن هبّت على المكسيكيّين، بتأثيرٍ منه ومن الرهبان الفرنسيسكانيّين، ريح ارتداداتٍ طاغيةٍ. لقد كان آباء أولئك الهنود وأجدادهم ينتزعون قلوب الأحياء ويحرقونها، في سبيل اكتساب رضى آلهةٍ متعطّشةٍ إلى الدماء، وها قد جاءتهم امرأةٌ تلتحف الشمس، وتطأ القمر، كي تسكب على قلوبهم الفرح والطمأنينة.

وتكاثر، يومًا فيومًا، عدد الراغبين في الاطّلاع على الدين المسيحيّ، وفي اعتناقه، وفاضت النعم. ورغب بعض الأمراء والقوّاد إنهاء حياتهم في جوار مزار العذراء التي قدّست تلك المنطقة، وما لبثت الصحراء الممتدّة حول المزار أن أهلت.

ونظرًا لما بذل خوان دييغو من جهدٍ في تعريف القوم بالعذراء، ولما أحرزه من تقدّمٍ شخصيٍّ في مضمار القداسة، سمح له الأسقف بالمناولة الإفخارستيّة، ثلاثة أيّامٍ، كلّ أسبوعٍ، وكانت تلك حُظوةً استثنائيّةً في تلك الحقبة.

الكرامة التي خُصّ بها لم تنلْ شيئًا من تواضعه وبساطته، بل إنّها دفعته إلى الإيغال في الزهد، والفقر، والورَع، فدأب على تنظيف مزار العذراء وتزيينه غير محتفظٍ لنفسه بفلسٍ واحدٍ من التقادم التي يجود بها الحجّاج والمؤمنون، متعاملاً، على قدم المساواة، مع الفقراء والميسورين، مع الجهلاء والمثقّفين، مع البسطاء الذين لا حوْل لهم، ومع أرفع القوم سلطةً ونفوذًا، سائقًا حياة عبادةٍ، وزهدٍ، ممعنًا، يومًا فيومًا، في التواضع والامّحاء، وأعمال التوبة، والتكفير، والتضحية.

ولكثرة ما كرّر على مسامع الزائرين رواية ظهور العذراء وأقوالها، حفظها كثيرون، عن ظهر قلب، كلمةً كلمةً، وراحوا يذيعونها، حيثما حلّوا.

وبمناسبة زيارة الأسقف له في منسكه، طلب منه أن يدلّه إلى المكان الذي ظهرت له فيه العذراء، يوم كان ساعيًا إلى إحضار كاهنٍ يمنح خاله المحتضر الزاد الأخير. وفيما كان خوان دييغو حائرًا يحاول تذكّر ذلك الموقع بالتحديد، تفجّر، تحت قدميه، نبع ماءٍ، مشيرًا إلى ذلك المكان عينه، وما زالت مياهه، حتّى اليوم، تنساب صافيةً، عطرةً، ولكنّ طعمها مشوبٌ بشيء من الحموضة. وقد اعترف كثيرون بنيلهم الشفاء من أمراضٍ مستعصيةٍ، بمجرّد استقاء ذلك الماء، أو الاغتسال به. وأُشيد، لاحقًا، مصلًّى، في ذلك المكان.

خال خوان دييغو عاش ١٣ عامًا، بعد شفائه العجيب، مع ابن اخته في منسكهما في تيبياك، وتوفّي عام ١٥٤٤، عن عمر ٨٤ عامًا.

عام ١٥٤٥ نشب بالمكسيك وباء الكوليرا، حاصدًا اثني عشر ألف ضحيّةٍ. فنظّم الأسقف حجّ أطفالٍ دون السابعة من العمر، التمسوا من سيّدة غوادالوپّي درء الوباء، الذي ما عتّم أن تراجع وتلاشى.

يوم ١٥٤٨/١٢/٩، الموافق الذكرى السنويّة السابعة عشرة لظهور العذراء الأوّل له، انطفأ خوان دييغو بهدوءٍ وسلامٍ، في تيبياك، وكان في الرابعة والسبعين، ولا ريب أنّ العذراء قد وافت لاستصحابه، مطمئنةً، وقائلةً: «يا ابني، خوان، الذي أُحبّه برقّةٍ ... أنت تستأهل مكافأتي لك عن أتعابك، وسأنشر شهرتك». ولحق به الأسقف زومرّاغا، بعد ثلاثة أيّامٍ، في الذكرى السنويّة السابعة عشرة لمعجزة الورود المقطوفة في عزّ الشتاء، ولارتسام صورة العذراء على معطف خوان دييغو، أمام ناظريه.

استمرار الظاهرة

سرعان ما أضحى مزار سيّدة غوادالوپّي، من أكثر المزارات المسيحيّة اجتذابًا للحجّاج، واتّضح أنّ ذلك المزار البدائيّ أصغر من قدرته على استيعاب قاصديه .فاستعيض عنه، عام ١٦٢٢ بكنيسةٍ أكثر اتّساعًا وفخامةً، ودأب الأهالي على توسيعها باطّرادٍ، إلى أن اكتمل بناؤها عام ١٧٠٩، ودُشّنت بحضور تسعة آلاف مؤمنٍ. وهي تُعدّ أضحم كنيسةٍ مكرّسةٍ لأمّ الله في المكسيك، ففناؤها يتّسع لنصف مليون شخصٍ، وقد نالت، عام ١٩٠٨، صفة «بازيليك».

وفي عام ١٩٧٦ دُشّنت كاتدرائيّةٌ أخرى، سمّيت «البازيليكا الجديدة» على الجانب الآخر من تلّة تيپياك، تتّسع لعشرة آلاف مصلٍّ، ويستوعب فناؤها مئة ألف حاجٍّ، يؤمّها،

كلّ يومٍ، نحو خمسة آلاف مؤمنٍ، ويرتقي هذا العدد إلى مئة ألفٍ، في أيّام الآحاد. ويوم الثاني عشر من كانون الأوّل، كلّ عامٍ، يقفز هذا الرقم إلى نحو مليون مؤمن. ويؤمّها، سنويًّا، نحو عشرين مليون حاجٍّ. وقد حُفر على إحدى واجهاتها: «مَن هي هذه القادمة مثل الفجر، رقيقةً كالقمر، مشرقةً كالشمس، متألّقةً مثل قوس قزح، وسط غمامةٍ نيّرةٍ، ومثل وردة الربيع الأولى؟».

عام ١٦٤٧ أُحيطت الصورة العجيبة بزجاجٍ واقٍ، بعد أن لبثت ١١٦ سنةً مكشوفةً، ومعرّضةً لشتّى عوامل التلف والاهتراء، ولكن صامدةً.

وفي عام ١٦٦٦، شُكّلت لجنة تحقيقٍ استمعت إلى أكثر من عشرين شاهدًا مسنًّا، كانوا على معرفةٍ وثيقةٍ بالحدث، وقد ثبّت البابا بينيدكتُس الرابع عشر، عام ١٧٥٤، نتيجة هذا التحقيق، معلنًا اعترافًا كنيسيًّا رسميًّا بظهورات سيّدة غوادالوپّي المكسيكيّة، في تيپياك، وبصورتها العجيبة، وبطابعها فائق الطبيعة. ووضع لها طقس صلواتٍ خاصّةٍ،

وحدّد تاريخ عيدها في ١٢ كانون الأوّل، من كلّ سنة، وأعلنها شفيعةً للمكسيك.

عام ١٨٢٨ أعلن مجلس الأمّة المكسيكيّ يوم ١٢ كانون الأوّل عيدًا وطنيًّا. وعندما ثار الفلاّحون المكسيكيّون، عام ١٨١٠، مطالبين باستقلالهم عن الاستعمار الإسبانيّ، رفعوا صورة سيّدة غوادالوپّي، بمثابة علمٍ وطنيٍّ.

عام ١٨٩٥ توّج البابا لاون الثالث عشر صورة سيّدة غوادالوپّي بحضور معظم أساقفة أميركا اللاتينيّة، وجدّد إعلان شفاعتها للمكسيك. واعترف الباباوات المتعاقبون، منذ البابا غريغوريُس الثالث عشر، بسمّو شأن ظهور سيّدة غوادالوپّي، وبلغ عدد الذين حجّوا، منهم، رسميًّا إلى ذلك المزار، أربعةً وعشرين حبرًا أعظم.

وأعلنها البابا بيّوس العاشر شفيعة كلّ أميركا اللاتينيّة.

عام ١٩٣٥ أعلنها البابا بيّوس الحادي عشر شفيعة الفيليبيّين.

وفي ١٩٤٥/١٠/١٢ أعاد البابا بيّوس الثاني عشر

تتويجها، وأعلنها شفيعةً لأميركا والمكسيك. وجاء، في كلمته المذاعة بهذه المناسبة:

«السلام عليك، أيّها النبع الدفّاق، الذي تنبجس منه مياه الحكمة الإلهيّة، فتطرد، بلجّة الإيمان القويم، أمواج الضلال الصاخبة... السلام عليك، يا سيّدة غوادالوپّي، سلطانة الأميركات، وملكة المكسيك... إنّنا نضع على هامتك هذا التاج، مودعين، إلى الأبد، بين يدي شفاعتك المنيعة، نقاء الإيمان المقدّس، واستقامته، في المكسيك، وفي جميع الأميركات...».

عام ١٩٦١، دشّن البابا يوحنّا الثالث والعشرون، في روما، كنيسةً مكرّسةً لسيّدة غوادالوپّي، التي سمّاها «مرسلة السماء إلى العالم الجديد وأمّ الأميركات».

وفي عام ١٩٦٦ قدّم البابا بولس السادس وردةً من ذهبٍ لكاتدرائيّة سيّدة غوادالوپّي.

أمّا البابا يوحنّا بولس الثاني، فقد استهلّ حبريّته بزيارة كنيسة سيّدة غوادالوپّي، التي حجّ إليها يوم ١٩٧٩/١/٢٧،

وكانت قد انقضت ثلاثة أشهر على تنصيبه، وأعلن: «ابتغي أن تكون هذه الرحلة، في المقام الأوّل، حجًّا إيمانيًّا. سيكرّم البابا صورة سيّدة غوادالوپّي السامية، ملتمسًا غوث مريم وحمايتها لحبريّته»، وأكّد: «إنّ ظهور مريم للهنديّ خوان دييغو، على تلّة تيپياك، كان له أثرٌ حاسمٌ على انتشار الإنجيل، تخطّى حدود المكسيك».

وتواترت رحلات حجّ البابا يوحنّا بولس الثاني إلى مزار سيّدة غوادالوپّي، فزاره عام ١٩٩٠ وعام ١٩٩٣، ثمّ عام ١٩٩٩، وتلا، بهذه المناسبة، الصلاة التالية: «أيّتها العذراء كلّيّة القداسة، عسانا، على غرار الطوباويّ خوان دييغو، نحمل صورتك مطبوعةً فينا، على دروب حياتنا، ونعلن بشرى يسوع للبشر أجمعين».

ويوم ٣١ تمّوز ٢٠٠٢ أعلن قداسته تطويب خوان دييغو، أمام حشدٍ من المكسيكيّين بلغ تعداده تسعة ملايين نسمةٍ، وهو عدد الهنود الذين اعتنقوا الدين المسيحيّ، خلال تسع سنواتٍ، في أعقاب ظهور العذراء لخوان دييغو، متحدّين

الاضطهادات التي كانوا يتوقّعونها، وقد استُشهدت طغماتٌ منهم، فعلاً، طُوّب عددٌ منهم في ٦ أيّار ١٩٩٠، وطُوّب آخرون في ٢١ أيّار ٢٠٠٠.

هذا، وقد شُيّدت، في بلدانٍ عديدةٍ، معابد وكنائس تكريمًا لسيّدة غوادالوپّي.

عجائب

لا ريب أنّ إعلان قداسة خوان دييغو قد استند إلى عجائب قديمةٍ، وحديثةٍ، جرت بشفاعة ذلك الخادم الأمين الذي اختارته أمّ الله رسولاً. وكانت أولى تلك المعجزات شفاء خال خوان دييغو من علّةٍ أفضت به إلى عتبة الموت، كما بيّنا آنفًا.

ثمّ جرت معجزاتٌ كثيرةٌ، بشفاعة سيّدة غوادالوپّي، وبفضل الاستنجاد بصورتها العجيبة. فبمناسبة نقل هذه الصورة إلى مزارها في تلّة تيپياك، أعلن الأسقف احتفالاً خاصًّا بعيد ميلاد ١٥٣١ شكرًا لأمّ الله. وتقاطر المؤمنون من كلّ صوبٍ، وخاصّةً من قرية خوان دييغو، محوّلين المناسبة إلى مهرجانٍ شعبيٍّ. استهلّ المطران زومَرّاغا الاحتفال بتكريس كاتدرائيّةٍ للعذراء مريم عُرفانًا بجمائلها، وبالنعم الفريدة التي

أغدقتها على أبرشيّته. ثمّ توجّه الموكب، في تطوافٍ حاشدٍ، إلى مزار العذراء على تلّة تيبياك التي تبعد نحو خمسة آلافٍ وخمس مئة مترٍ، تحت صورة العذراء المرسومة بيدٍ إلهيّةٍ، وقد رُفعت بمثابة علمٍ.

كان الأُسقف يتقدّم الموكب حافي القدَمين والساقين، يحيط به خوان دييغو، وخاله خوان بيرناردينو، ومن حولهم نائب الملك ومرافقوه، والحاكم القائد كورتيس وزوجته، والقضاة، والنبلاء، والإكليرُس، وجمهورٌ حاشدٌ، اختلط فيه إسبانيّون وهنودٌ. وعلى جانبي الطريق اصطفّت فتياتٌ ينثرنَ الورود المجفّفة على الموكب الذي أحاق به قارعو الطبول، والراقصون المندفعون، على إيقاع نشيدٍ للعذراء نظم للمناسبة، مشيدًا بالحدث العجيب.

وعلى غرار ما لا يزال يجري في قرانا، وفي بعض أحياء مدننا، من تعبير عن الفرح بطلقاتٍ ناريّةٍ عشوائيّةٍ، دفع الحماس بعض الهنود إلى إطلاق سهامٍ، في الهواء، متخطّين أمر الأسقف بتجنّب تلك الظاهرة الخطيرة. وأصابت سهمٌ

طائشةٌ أحد الحاضرين في عنقه، فخرّ صريعًا. وخفّ مرسلٌ لنجدته، وانتزع السهم من مقتلها، ولكنّه تبيّن أنّ المصاب يصارع الموت. فحدّق إلى صورة العذراء العجيبة، وسط صمتٍ رهيبٍ، وتعاون مع ذوي المصاب على تسجيته تحت تلك الصورة المقدّسة، ملتمسين شفاءه، لكي لا تفسد الفاجعةُ المناسبةَ البهيجة.

وبغتةً فتح المصاب عينيه، ثمّ فتح فمه، ويديه، وهبّ واقفًا، ضاجًّا عافيةً، رافلاً بكلّ قواه، ولم تكن السهم قد خلّفت سوى ندبةٍ صغيرةٍ تدلّ على مكان إصابتها. وألهبت تلك المعجزة حماس الجماهير، مكسبةً أناشيدها مزيدًا من اندفاعٍ، وجهرٍ بتكريم أمّ اللّه. ومنذئذٍ برهنت سيّدة غوادالوپّي عن وفائها للوعد الذي قطعته لخوان دييغو بعون كلّ من يستغيث بها.

واحتلّت الصورة العجيبة مكانها في مزارها.

ثمّ حدث شفاءٌ جماعيٌّ عجيبٌ، عندما انتشرت، في المكسيك، آفاتٌ وجائحاتٌ حصدت آلاف الضحايا، ونُسِب

بعضها إلى جراثيم جلبها المحتلّون الإسبانيّون. ولم يجد المكسيكيّون وسيلةً للنجاة منها سوى الاستنجاد بسيّدة غوادالوپّي، والتطواف بصورتها العجيبة، والتماس حمايتها، وقد آثر كثيرون هجر مواطنهم ومساكنهم، والفزع إلى تلّة تيپياك، حيث ظفروا بالحماية والنجاة.

وفي ما يلي نورد معجزاتٍ متنوّعةً، جرت لأفرادٍ، وإنْ هي إلاّ نماذج عن معجزاتٍ كثيرةٍ أخرى:

١ – «خوان خوسّيه بينيغان سيلڤا» شابٌّ مكسيكيٌّ، في الثالثة والعشرين، مدمنٌ على المخدّرات منذ سنّ الخامسة.

يوم ١٩٩٠/٥/٣، تحت سطوة المخدّر واليأس، طعن نفسه بسكّينٍ طعنةً نجلاء، تحت أنظار أُمّه، ثمّ خفّ إلى شرفة المنزل التي تعلو عشرة أمتارٍ عن قارعة الطريق، بغية القذف بنفسه، وجهدت أُمّه في إمساكه ومنعه من الانتحار، ولكن، بعد ثوانٍ معدوداتٍ، أفتلت قدماه من قبضتها، وهوى جسمه في الفراغ، فهتفت والدته: «يا خوان دييغو أغثه، يا خوان

دييغو ساعدني! وأنتِ، يا أمّي العذراء، استجيبي لخوان دييغو!».

وسقط الشابّ، فتحطّم رأسه على إسمنت الطريق. واعتبره أحد الجيران ميتًا، فلفّه بغطاء. ونقلته سيّارة إسعافٍ إلى مستشفى دورانغو، في مكسيكو، بلا أيّ أملٍ في بقائه حيًّا. وبعد أن شخّص الأطبّاء كسرًا في أساس الجمجمة، وتحطّم عظامه، وجزءٍ من نخاعه الشوكيّ، لم يوحوا لوالدته أيّ أملٍ في شفائه، مجمعين على أنّ موته وشيكٌ، وفي أفضل الأحوال، على إصابته بإعاقةٍ خطيرةٍ ودائمةٍ.

ولكن، بعد ثلاثة أيّامٍ، وفيما كان البابا يوحنّا بولس الثاني يعلن قداسة خوان دييغو، استيقظ الشابّ، وطلب طعامًا. وساد الذهول في المستشفى. فذاك الذي عدّوه على عتبة الموت، أخذ يلتهم الطعام، بشهوةٍ عارمةٍ.

وفي غضون الأيّام الأربعة التالية شفيت جمجمته شفاءً تامًّا. ولم يكن قد مضى أسبوعٌ على سقوطه، عندما غادر المستشفى، سائرًا على قدميه. وأجمع الأطبّاء على الاعتراف

بأنّ شفاءه كان «مدهشًا، غير معقول، ولا تفسير علميًّا له». وقد أثبتت الفحوص اللاحقة أنّ الحادث لم يخلّف لديه، أيّ أثرٍ عصبيٍّ أو نفسيٍّ.

٢ – وقبل سنواتٍ من هذه الحادثة، كان ولدٌ يصطاد أسماكًا، فأصابت صنّارته أحدى عينيه، وأعلن الأطبّاء المختصّون أنّ الضرر نهائيٌّ لا شفاء منه. ولم تجد أمّه ملجأً سوى خوان دييغو، فهرعت إلى كاتدرائيّة مكسيكو، وهتفت: «يا خوان دييغو، الذي ستُعلن قداسته عمّا قريبٍ، أتوسّل إليك أن تفعل شيئًا من أجل ابني».

ثمّ جاءت بابنها إلى طبيبٍ مختصٍّ آخر، ذائع الصيت، ورجته أن ينقذ عين ابنها، ففحصه فحصًا دقيقًا، وبدهشةٍ قال لها: «لستُ أجد حاجةً إلى إجراء عمليّةٍ ثانيةٍ، فالعمليّة التي أُجريت لابنك، ناجحةٌ نجاحًا كاملاً، ونظر ابنك تامٌّ». فاعترضت المرأة مذهولةً:

– «ولكن، يا دكتور، لم تجرَ لابني أيّة عمليّةٍ، وقد جئناك كي تجريها أنتَ!». وأجاب النطاسيّ:

– «عفوًا، يا سيّدتي، من المؤكّد أنّ العمليّة قد أُجريت، وبيد طبيبٍ ماهرٍ، وقد آتت نتيجةً ممتازةً. وإنّي أرى الندبة».

هذه الندبة، زالت، نهائيًّا، بعد ثلاثة أيّام، واستعاد الولد رؤيةً كاملةً. وقد شهد أطبّاء متمرّسون أنّ أيّة عمليّةٍ لو أُجريت لذلك الولد، لما كانت قد أتت بنتيجةٍ.

٣ – في ١٣–٨–١٩٩٠ سمع رجلٌ أميركيّ مُسنٌّ صوتًا داخليًّا يقول: «أريد مواصلة الرسالة التي شرعتُ بها عام ١٥٣١. أَرغب في أن يرى ملايين الناس صورتي، صورة المرأة الملتحفة بالشمس. سأذيب القلوب، وأقودها إلى الارتداد. وبواسطة قلبي الطاهر، سأقود إلى قلب ابني المقدّس».

وعمد مسؤولو كاتدرائيّة مكسيكو إلى طبع ملايين الصورة المنسوخة عن الصورة الأصليّة التي رسمتها يدٌ سماويّةٌ على معطف خوان دييغو، وجالت العالم، محدثةً أشفيةً ومعجزاتٍ، حيثما مرَّت.

فقد شُفيت، في ولاية لويزڤيل الأميركيّة، فتاةٌ في الثالثة،

من سرطانٍ انتهى إلى مرحلةٍ نهائيّةٍ، شفاءً فوريًّا كاملاً، إثر تقبيلها إحدى هذه الصور، فيما كانت ملقاةً على سرير مشفًى، تنتظر نهايتها المحتومة.

٤ – أُعطيت صورة سيّدة غوادالوپّي لطفلٍ في الرابعة من العمر، متوحّدٍ، (autiste)، لم يستطع، يومًا، التفوّة بكلمةٍ، فهتف، في الحال: «يا مريم، أُحبّك» وانطلق يتكلّم.

رسالة غوادالوپّي

الأيّام الأربعة الممتدّة بين ٩ و١٢ كانون الأوّل من عام ١٥٣١، دمغت في الأعماق تاريخ المكسيك، وتاريخ العالم، ما أتاح للبابا بينيدكتُس الرابع عشر أن يعلن للمكسيكيّين: «لم يُنعم اللّه على أيّة أمّةٍ، مثلما أنعم على هذه الأمّة».

أمّا غاية ظهور العذراء، فيمكن إيجازه ببندين أساسيّين هما:

حبّ اللّه وأمّه لجميع البشر، ومساهمة العذراء في التعريف بالمخلّص، والمساهمة معه في خلاص العالم. وقد تجلّت هذه الأهداف في أقوالها لخوان دييغو:

«أنا، حقًّا، أمّك العطوف، وأمّكم جميعًا، أنتم الذين يؤلّفون وحدةً على هذه الأرض، أمّ جميع سلالات البشر

من كلّ جنسٍ، جميع الذين يحبّونني، ويدعونني، ويبحثون عنّي، ويلتجئون إليّ؛ فأنا، هنا، أصغي إلى دموعهم، وأحزانهم، وأسارع إلى رعايتهم والعناية بهم، وإلى شفاء أوجاعهم، وتخفيف أعبائهم، وآلامهم، ومعاناتهم».

وقد ظهرت العذراء حاملاً، فهي تحمل إلى العالم مخلّصه: «**سأظهره، وأعظّمه، وأُبرزه، وأهبه للعالم، بكلّ حبّي الشخصيّ، وبكلّ نظرتي المفعمة عطفًا، بكلّ عوني، وخلاصي**».

إنّ رسالة سيّدة غوادالوپّي تسبح في لجّةٍ من النضارة الفائقة الطبيعة، وتتّسم بالديمومة. ولا عجب إن أضحى مزارها يتصدّر أماكن الحجّ المسيحيّ، إذ يؤمّه زهاء عشرين مليون حاجٍّ سنويًّا.

فهرس ظهورات غوادالوپّي

قبائل الأَزتيكيّين ١٥٣

من هو «خوان دييغو»؟ ١٦٩

الظهور الأوّل ١٧٤

زيارة خوان الأولى إلى الأسقف ١٨١

ظهورٌ ثانٍ للعذراء ١٨٣

يوم الأحد ١٥٣١/١٠/١٠:

زيارة أُخرى إلى الأسقف ١٨٧

ظهور العذراء الثالث ١٩٠

يوم الإثنين ١٢/١١ ١٩١

يوم الثلاثاء ١٢/١٢ ١٩٢
شفاء خال خوان دييغو ٢٠٤
«سيّدة غوادالوپّي» ٢٠٧
صورة سيّدة غوادالوپّي ٢١٤
ماذا عنى الحدث للأزتيكيّين؟ ٢٢٥
انتشارٌ ٢٣١
استمرار الظاهرة ٢٣٦
عجائب ٢٤٢
رسالة غوادالوپّي ٢٥٠

ظهر من هذه السلسلة:

١ – ظهورات لورد

٢ – ظهورات فاطمة

٣ – ظهورات الصوفانيّة

٤ – ظهورات مديوغوريه

٥ – ظهورات لاساليتّ وظهورات الإسكوريال

المطبعة البولسيّة
جونية - لبنان